
اجاثا كريستي
ساحر النساء



أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديّون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

ساحر النساء
The Labours of Hercules

إن هذه الرواية - عزيزي القارئ - الجزء الثاني من رواية الضحية.
أشيع أن «هركيول بوارو» على وشك التقاعد، ومع ذلك كيف يمكن لرجل الشرطة السرية البلجيكي اللامع أن يقاوم أكثر التحديات الإجرامية الذكية تعقيدًا طوال حياته المهنية؟ ببساطة تامة.. لا يستطيع ذلك، وبناء عليه من حفل مقام لترويج المخدرات إلى اختفاء لوحة فنية صغيرة، ومن نموذج رائع لرجل يتحول إلى الجنون لأسباب غير معروفة إلى كونتيسة روسية تعمي رجل الشرطة السرية بالحب.. يذعن «بوارو» لإغراء سلسلة من الجرائم العبقرية التي يبدو أن لا سبيل ممكن لكشف غموضها.

ثمن الكتاب

البلد	الثمن	البلد	الثمن
لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الأردن	2 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	اليمن	400 ريال

ISBN 995338246-8



ساحر النساء

برنارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

ساحر النساء

(49)

تاليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م

الإدارة العامة والتوزيع

تليفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

ص.ب 374 جونيه – لبنان

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي – دار البشير

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يمنع منعًا باتًّا نقل أي جزء من هذا الكتاب وبأية وسيلة مرئية أو صوتية... إلخ

إلا بعد الحصول على موافقة خطية من الناشر

تأليف

Agatha Christie

الاسم الأصلي للكتاب

The Labors of Hercules, (1947)

الغلاف بريشة الفنان العالمي

عبد العال

جميع حقوق الترجمة محفوظة لشركة دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م.
وذلك بموجب الإقرار والتنازل الموثق لدى وزارة العدل – مصلحة الشهر العقاري والتوثيق
مكتب شمال القاهرة – توثيق مصر الجديدة – جمهورية مصر العربية – تحت رقم 2390 تاريخ 1985/06/16
ولا يحق لأي كان نشر أي قسم أو جزء من هذا الكتاب وبأية وسيلة كانت ...
إلا بعد أخذ موافقة خطية من الناشر

القضية السابعة

أفراس "ديوميدس"

شخصيات الرواية:

- المفتش "**هركيول بوارو**" : مخبر سري.
- "**مايكل ستودارت**" : طبيب شاب وصديق لـ"**هركيول بوارو**" .
- السيدة "**بيشانس جريس**" : سيدة غنية أقامت حفلاً لتعاطي الكوكايين.
- "**أنتوني هوكر**" : شاب غني وصديق للسيدة "**جريس**" .
- اللواء "**جرانت**" : لواء إنجليزي متقاعد مصاب بمرض النقرس وله أربع بنات جميلات.
- "**شيلا جرانت**" : شابة جميلة ابنة اللواء الإنجليزي المتقاعد "**جرانت**" .
- "**بام جرانت**" : شابة جميلة أخت "**شيلا**" وابنة اللواء المتقاعد.
- السيدة "**كار مايكل**" : سيدة ثرثارة من معارف "**هركيول بوارو**" .
- السيدة "**لاركين**" : سيدة ميسورة الحال، وصديقة حميمة لـ"**أنتوني هوكر**" .

- 1 -

دق ناقوس الهاتف:

– أهلاً يا "بوارو". هل هذا أنت؟

عرف "**هركيول بوارو**" من الصوت أن المتكلم هو "**ستودارت**" الطبيب الشاب. كان يحب "**مايكل ستودارت**". يحب فيه ابتسامته الودود الخجلة، ويعجبه فيه اهتمامه الساذج بالجرائم ويحترم فيه حبه للعمل وإتقانه واجبات مهنته. استطرد الصوت قائلاً بنبرة مترددة:

– لا أحب أن أزعجك.. فقاطعه "**هركيول بوارو**"، قائلاً بذكاء:

– ولكن شيئًا ما يزعجك أنت؟ أجاب الطبيب وقد غلبت على صوته نبرة ارتياح:

– بالضبط.

– حسناً. ما الذي يمكنني أن أفعله من أجلك يا صديقي؟ بدا "**ستودارت**" متردداً قليلاً وبدأ يتلعثم وهو يقول:

– أرى أنها ستكون وقاحة من جانبي لو أنني طلبت منك أن تأتي إليّ. ربما تكون مشغولا... ولكنني في مأزق صغير.

– سآتي إليك بكل تأكيد. هل آتي إلى منزلك؟

– لا. واقع الأمر أنني موجود في منطقة الإصطبلات الواقعة خلف منزلي. اسم المكان "**كوننجبي**"، رقم 17، هل يمكنك أن تأتي حقًّا؟ سأكون شاكراً لك بلا حدود. فأجاب "**هركيول بوارو**" قائلاً:

– سأكون عندك في الحال.

- 2 -

سار "**هركيول بوارو**" بمحاذاة الإصطبلات المظلمة يبحث عن الرقم. كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة صباحًا، وبدا أن غالبية من في هذه الأماكن قد أووا إلى الفراش وإن كانت لم تزل هناك أضواء ببعض النوافذ. عندما وصل إلى رقم 17 فتح بابه ووقف الدكتور "**ستودارت**" به ينظر إلى الخارج. قال:

– أيها الرجل الطيب! هلا تفضلت بالدخول؟

كان هناك درج صغير أشبه بالسلم النقال يؤدي إلى الطابق الأعلى. كانت إلى اليمين حجرة فسيحة إلى حد ما مهيأة بالأرائك والمتكآت والسجاد والوسائد المثلثة الفضية وعدد كبير من الزجاجات والكؤوس. كان كل شيء في حالة فوضى، وكانت أعقاب السجائر في كل مكان مع عدد كبير من الكؤوس المهشمة. قال "**هركيول بوارو**":

– ها! يا عزيزي، أستنتج أن حفلاً كان مقامًا هنا! فقال "**ستودارت**" بنبرة كآبة:

– نعم. كان هناك حفل... من نوعية معينة يجب أن أعترف!

– لم تكن بين الحاضرين إذن؟

– لا. أنا هنا بصفتي المهنية لا أكثر.

– ما الذي حدث؟ فقال "**ستودارت**":

– هذا المكان خاص بامرأة تدعى "**بيشانس جريس**".. السيدة "**بيشانس جريس**" (معناه بالعربية صبر نعمة). فقال "**بوارو**":

– اسم ساحر من العالم القديم.

– لا شيء ساحر ولا من العالم القديم في السيدة "**جريس**". هي جميلة الطلعة بشكل خشن. تزوجت بضع مرات والآن هي على علاقة بصديق تشك في أنه يحاول أن يهجرها.. بدؤوا هذا الحفل بالمشروبات وأنهوه بالمخدرات..

الكوكايين على وجه التحديد. الكوكايين مادة تجعل متعاطيها في أول الأمر يشعر بالانتشاء وبأن كل ما حوله جميل ورائع. يرفع المعنويات ويشعر المرء بأن بإمكانه أن يفعل ضعفيْ ما يمكنه عادة. وإذا زادت الجرعة يصاب المرء بإثارة ذهنية عنيفة وبالأوهام والاهتياج. حدث شجار عنيف بين السيدة "**جريس**" وصديقها وهو شخصية منفرة واسمه "**هوكر**" وكانت النتيجة أنه تخلى عنها وهجرها في الحال فما كان منها إلا أن أطلت من النافذة وأطلقت عليه رصاصة من مسدس جديد كان أحدهم من الغباء بحيث أهداه إليها. ارتفع حاجبا "**هركيول بوارو**" إلى أعلى:

– هل أصابته؟

– ليس هو! اندفعت الطلقة إلى مسافة بضعة أمتار كما هو واضح فأصابت عاطلاً بائسًا كان يتسكع بمحاذاة الإصطبلات يبحث في صناديق القمامة. اخترقت لحم ذراعه. أثار ضجة عارمة بالتأكيد فاقتاده الجمهور إلى هنا على وجه السرعة وهم في حالة ثورة لرؤية الدماء التي كانت تسيل بغزارة من الجرح ثم استدعوني..

– ثم ماذا؟

– اتخذت اللازم بشأن الإصابة. لم تكن خطيرة. ثم انشغل بعض الرجال بالتفاهم معه فوافق في النهاية على قبول ورق نقد من فئة الخمسة جنيهات وألا يتحدث عن الموضوع بعد ذلك. كان العرض مناسبًا له بما يكفي. ضربة حظ رائعة.

– وأنت؟

– كان لديّ مزيد من العمل. كانت السيدة "**جريس** قد دخلت مرحلة هستيرية خطيرة عندئذ. أعطيتها حقنة معينة ووضعتها في الفراش. كانت هناك فتاة أخرى فاقدة الوعي إلى حد ما .. صغيرة السن جدًا. اعتنيت بها أيضًا.

عندئذ كان الجميع يتسربون إلى الخارج بأسرع ما يمكنهم. توقف لحظة فقال "**بوارو**" :

– ثم توفر لديك الوقت لتقدير الموقف. وأجاب "**ستودارت**" :

– بالضبط. لو كان ما حدث نتيجة لإسراف في تناول المشروبات لكان الأمر قد انتهى عند هذا الحد. لكن الوضع يختلف في ظل تعاطي المخدرات.

– هل أنت واثق تماماً بالوقائع التي تحت يدك؟

– وبصفة قاطعة. لا مجال لخطإ. إنه كوكايين بالفعل. وجدت بعضًا منه في صندوق لكّ .. يتنشقونه .. كما تعلم. والسؤال هو .. من أين يأتي؟ تذكرت أنك تحدثت ذات مرة عن موجة جديدة عاتية من تعاطي المخدرات وعن زيادة عدد المدمنين. أومأ "**هركيول بوارو**" قائلاً:

– سوف يكون حفل الليلة مثيراً لاهتمام الشرطة. فأجاب "**ستودارت**" بنبرة أسى:

– هذا هو مربط الفرس... نظر "**بوارو**" إليه باهتمام شديد مفاجئ. قال:

– ولكنك لست راضيًا تمامًا عن أن تهتم الشرطة بالأمر؟ قال "**مايكل ستودارت**" متمتمًا:

– يتورط أبرياء في مثل هذه الظروف... وهذا أمر صعب جدًّا عليهم.

– السيدة "**بيشانس جريس**" هي من تتعاطف معها؟

– يا إلهي .. لا! إنها متحجرة الفؤاد إلى أقصى الحدود! فسأل "**هركيول بوارو**" بنبرة مترفقة:

– هي إذن الأخرى .. الفتاة؟ فقال الدكتور "**ستودارت**" :

– بالتأكيد. وإن كانت متحجرة أيضًا بقدر ما. أعني أن هذا ما تصف به نفسها. ولكنها في واقع الأمر صغيرة السن جدًّا .. شرسة بقدر ما وكل ذلك .. ولكنها حماقة الصبا. تتورط في نشاط اجتماعي كهذا؛ لأنها تظن أنه مدنية أو

حداثة أو شيء من هذا القبيل. ارتسمت على شفتي "**بوارو**" ابتسامة باهتة. قال بصوت خافت:

– هذه الفتاة .. التقيت بها قبل هذه الليلة؟ أومأ "**مايكل ستودارت**". بدا حديث السن وخجولاً جداً:

– التقيت بها مصادفة في "**هرتونشير**". في حفل الصيد. والدها لواء متقاعد.. دماء ورعود .. رجل عسكري من الدرجة الأولى. له أربع بنات وجميعهن متمردات .. مدفوعات إلى ذلك بسبب والد بهذه الطباع على حد اعتقادي. ويعيشون في منطقة سيئة من البلاد .. مصانع أسلحة قريبة منهم وأموال طائلة .. حيث لا قدر من المشاعر الريفية القديمة .. جمهور ثري وغالبيتهم من الأشرار. نشأت البنات في وجود هذه المجموعة السيئة. تأمله "**هركيول بوارو**" بضع دقائق ثم قال:

– أدركت الآن سبب رغبتك في وجودي. تريد مني أن أتولى الموضوع؟

– هل تقبل؟ أشعر بأنه من واجبي أن أفعل شيئًا إزاءه .. ولكنني أعترف بأنني أريد إبعاد "**شيلا جرانت**" عن الأضواء إن أمكن.

– أتصور أن هذا ممكن تدبيره. أود أن أرى هذه الفتاة.

– تفضل. تقدمه إلى خارج الحجرة. كان هناك صوت ينادي بجزع من باب مقابل:

– يا دكتور .. بحق الله يا دكتور .. إنني أفقد صوابي.

دخل "**ستودارت**" الحجرة و"**بوارو**" يتبعه. كانت حجرة نوم في حالة فوضى تامة .. مسحوق مسكوب على الأرض .. برطمانات وعلب في كل مكان وثياب متناثرة هنا وهناك. فوق الفراش كانت امرأة ذات شعر أشقر بدرجة غير طبيعية ووجه شرير ضامر. صاحت:

– أشعر بأن حشرات تزحف في كل مكان من جسدي... هذا صحيح. أقسم

على ذلك. أشعر بوجودها. سوف أفقد صوابي... بحق الله أعطني حقنة شيء ما.

وقف الدكتور "**ستودارت**" بجوار الفراش. وتحدث بنبرات مهدئة مطمئنة .. مهنية. خرج "**هركيول بوارو**" من الحجرة بهدوء. كان هناك باب آخر قبالته. فتحه. كانت الحجرة صغيرة جداً .. مجرد شريط في مساحتها .. بسيطة الأثاث. وعلى الفراش رقد شكل بشري بناتي بلا حراك.

سار "**هركيول بوارو**" على أطراف الأصابع إلى جوار الفراش ونظر إلى أسفل إلى الفتاة: شعر داكن.. وجه طويل شاحب.. وعينان تدلان على سن صغيرة.. صغيرة جداً...

ظهر بريق أبيض بين جفني الفتاة. فتحت عينيها.. جزعتين خائفتين. نظرت ملياً ثم اعتدلت جالسة وقذفت برأسها في محاولة لأن تدفع بشعرها الأسود المزرق الكثيف إلى الخلف. بدت كمهرة جزعة .. انكمشت مبتعدة قليلاً .. مثلما ينكمش الحيوان عندما يشك في غريب يقدم له طعاماً. قالت بصوت رفيع صغير مفاجئ:

– من أنت بحق الجحيم؟

– لا تخافي يا آنستي.

– أين هو الدكتور "**ستودارت**"؟ دخل الشاب الحجرة في تلك اللحظة. قالت الفتاة بنبرة ارتياح في صوتها:

– آه .. هأنت! ومن هذا؟

– إنه صديق لي يا "**شيلا**". كيف حالك الآن؟ أجابت الفتاة بصوت واهن:

– سيئ جداً. لماذا تعاطيت تلك المادة الملعونة؟ فقال "**ستودارت**" بنبرة جافة:

– لو كنت مكانك ما فعلت هذا ثانية.

– لن .. لن أفعله. قال "**هركيول بوارو**":

– من الذي أعطاك إياها؟ اتسعت عيناها. وتلوت شفتها العليا بقدر طفيف. قالت:

– كان ذلك هنا .. في الحفل. أخذناه جميعًا على سبيل التجربة. كان رائعًا في بادئ الأمر. قال "**هركيول بوارو**" بنبرة لطيفة:

– لكن من الذي أحضره إلى هنا؟ هزت رأسها:

– لا أعلم... ربما كان "**أنتوني**" .. "**أنتوني هوكر**". ولكنني لا أعرف شيئًا عنه حقًّا. قال "**بوارو**" بنبرة رقيقة:

– هل هي المرة الأولى التي تتعاطين فيها الكوكايين يا آنستي؟ أومأت. وقال "**ستودارت**" بلهجة آمرة:

– من الأفضل لك أن تجعليها الأخيرة أيضًا.

– نعم. أرى ذلك .. ولكنه كان رائعًا. فقال "**ستودارت**":

– اسمعيني الآن يا "**شيلا جرانت**". أنا طبيب وأعلم ما أتحدث عنه. ما إن تبدئي لعبة تعاطي هذا المخدر حتى ينتهي بك الحال إلى وضع مأساوي يفوق تصورك. لقد شاهدت بعض الحالات وأعلم جيداً. المخدرات تحطم الناس، جسداً ونفساً. المشروبات المسكرة أكثر رحمة بكثير بالمقارنة بالمخدرات. اقلعي عنها بدءًا من هذه اللحظة. صدقيني .. الأمر ليس هينًا! ماذا تعتقدين أن يكون رأي والدك في أحداث هذه الليلة؟ ارتفع صوت "**شيلا جرانت**" وهي تقول:

– والدي؟ والدي؟ وبدأت تضحك ثم قالت:

– يمكنني أن أرى وجهه! لا ينبغي أن يعرف عن الموضوع شيئًا وإلا أصيب بسبع نوبات قلبية! فقال "**ستودارت**":

– وله مبرراته أيضًا. ترامى من الحجرة الأخرى عويل السيدة "**جريس**":

– يا دكتور .. يا دكتور .. تمتم الدكتور "**ستودارت**" بشيء ما لا يحمل أدنى معاني المجاملة وغادر الحجرة. دققت "**شيلا جرانت**" النظر إلى "**بوارو**" ثانية. بدت متحيرة. قالت:

– من أنت حقًّا؟ لم تكن حاضراً الحفل.

– لا. لم أكن حاضراً الحفل، أنا صديق الدكتور "**ستودارت**".

– وأنت طبيب أيضًا؟ لا يبدو عليك أنك طبيب. قال "**بوارو**" مخططا كعادته لأن يكون لتلك الجملة الخبرية البسيطة وقع رفع الستار عن أول فصول مسرحية ما:

– اسمي .. اسمي "**هركيول بوارو**" ...

لم تخطئ العبارة وقعها. كان "**بوارو**" بين الحين والحين يغضب لأن يكتشف أن أفراد الجيل الجديد القاسي الفؤاد لم يسمعوا عنه قط. لكن كان واضحًا أن "**شيلا جرانت**" قد سمعت عنه من قبل. ذهلت.. صعقت وظلت تدقق النظر إليه طويلا...

– 3 –

لقد قيل – بمبرر أو بغير مبرر معقول – إن لكل واحد عمة في "**توركوويي**". وقيل أيضاً إن لكل واحد قريب في "**مرتونشير**". تقع "**مرتونشير**" على مسافة معقولة من "**لندن**". بها عدد من قرى صيد الحيوانات وصيد الأسماك والرماية، كما أن بها عدداً من القرى الجميلة المناظر الطبيعية وإن كانت حيية إلى حد ما، وبها جهاز جيد لإدارة خطوط السكك الحديدية وطريق شرياني جديد يسهل عملية السفر بالسيارات إلى المدينة ومنها. يعترض المستخدمون عليها بقدر أقل من اعتراضهم على مناطق أخرى بالجزر البريطانية الريفية بقدر أكبر منها. ونتيجة لذلك من شبه المستحيل أن يعيش الفرد في "**مرتونشير**" ما لم يكن له دخل من أربعة أرقام، وفي ظل ضريبة الدخل وما شابهها، من الأفضل أن يكون من خمسة أرقام.

ولأن "**هركيول بوارو**" أجنبي فلا أقارب له بتلك المقاطعة، وإن كان قد كوّن له دائرة كبيرة من الأصدقاء هناك، ولم تواجهه صعوبة في الترتيب لأن يدعى لزيارة هذه المنطقة. فضلاً على ذلك كان قد انتقى له – من قبيل المضيفة – سيدة عزيزة تكمن متعتها الرئيسية في استخدام لسانها بلا انقطاع في الحديث عن جيرانها، وكان العيب الوحيد هو اضطرار "**بوارو**" إلى أن يخضع لسماع الكثير عن أناس لا اهتمام له بهم ألبتة قبل تمكنه من التطرق إلى موضوع من يهمونه.

– آل "**جرانت**"؟ نعم. هناك أربع منهن. أربع فتيات . لا عجب في أن "**اللواء**" العجوز المسكين ليست لديه القدرة على السيطرة عليهن. فما الذي يمكن لأي رجل أن يفعله بأربع فتيات؟ قالت السيدة "**كار مايكل**" ذلك ملوّحة بيديها. فقال "**بوارو**" :

– ماذا يمكنه حقًّا؟ واصلت السيدة كلامها:

– كان متميزاً في فرض الانضباط في حميته. هذا ما قاله لي. ولكن هؤلاء الفتيات قهرنه. لسن كما كنت أنا وأنا صغيرة. أتذكر كيف كان العقيد "**سانديز**" ضابطًا صارمًا، حتى أن بناته..

(تلت ذلك رحلة طويلة في موضوع محاكمة بنات "**سانديز**" وصديقات أخريات للسيدة "**كار مايكل**" أيام شبابها). قالت السيدة "**كار مايكل**" عودة إلى موضوعها الأول:

– لعلمك الخاص لا أقول إن هناك خطأ يذكر في جانب هؤلاء البنات. كل ما في الأمر هو الميل إلى المرح، والارتباط بمجموعة غير مرغوب فيها. لم يصبح الحال كما كان عليه في هذه البقعة من العالم. يأتي إليها أكثر الناس غرابة. لم يصبح هناك شيء من الممكن أن يقال عنه إنه "المقاطعة" . أصبح المال هو كل شيء الآن. ونسمع أغرب القصص والروايات! من قلت؟ "**أنتوني هوكر**"؟ آه..

ولأن "**هركيول بوارو**" أجنبي فلا أقارب له بتلك المقاطعة، وإن كان قد كوّن له دائرة كبيرة من الأصدقاء هناك، ولم تواجهه صعوبة في الترتيب لأن يدعى لزيارة هذه المنطقة. فضلاً على ذلك كان قد انتقى له - من قبيل المضيفة - سيدة عزيزة تكمن متعتها الرئيسية في استخدام لسانها بلا انقطاع في الحديث عن جيرانها، وكان العيب الوحيد هو اضطرار "**بوارو**" إلى أن يخضع لسماع الكثير عن أناس لا اهتمام له بهم البتة قبل تمكنه من التطرق إلى موضوع من يهمونه.

- آل "**جرانت**"؟ نعم. هناك أربع منهن. أربع فتيات . لا عجب في أن "**اللواء**" العجوز المسكين ليست لديه القدرة على السيطرة عليهن. فما الذي يمكن لأي رجل أن يفعله بأربع فتيات؟ قالت السيدة "**كار مايكل**" ذلك ملوّحة بيديها. فقال "**بوارو**" :

- ماذا يمكنه حقًّا؟ واصلت السيدة كلامها:

- كان متميزاً في فرض الانضباط في حميته. هذا ما قاله لي. ولكن هؤلاء الفتيات قهرنه. لسن كما كنت أنا وأنا صغيرة. أتذكر كيف كان العقيد "**سانديز**" ضابطًا صارمًا، حتى أن بناته..

(تلت ذلك رحلة طويلة في موضوع محاكمة بنات "**سانديز**" وصديقات أخريات للسيدة "**كار مايكل**" أيام شبابها). قالت السيدة "**كار مايكل**" عودة إلى موضوعها الأول:

- لعلمك الخاص لا أقول إن هناك خطأ يذكر في جانب هؤلاء البنات. كل ما في الأمر هو الميل إلى المرح، والارتباط بمجموعة غير مرغوب فيها. لم يصبح الحال كما كان عليه في هذه البقعة من العالم. يأتي إليها أكثر الناس غرابة. لم يصبح هناك شيء من الممكن أن يقال عنه إنه "المقاطعة" . أصبح المال هو كل شيء الآن. ونسمع أغرب القصص والروايات! من قلت؟ "**أنتوني هوكر**"؟ آه..

– ماذا . . بالتأكيد! لهذا السبب إذن جئت إلى هنا! أيها المخلوق المخادع القذر، إنني مصرّة على أن تخبرني بكل شيء عن هذا الموضوع.

– لكن عن أي موضوع من المفترض أن أخبرك؟ صوبت السيدة "**كار مايكل**" إلى "**بوارو**" ضربة عابثة أخرى استطاع تلافيها بخفة ومهارة.

– لا تكن صموتًا معي يا "**هركيول بوارو**" ! يمكنني أن ألحظ ارتعاش شاربك. من المؤكد أن جريمة ما قد جاءت بك إلى هنا . . وتحاول انتزاع المعلومات مني بلا حياء! والآن دعني أرى. هل من الممكن أن تكون هناك جريمة؟ من الذي توفي في الآونة الأخيرة؟ لا أحد سوى "**لويزا جلمور**" العجوز وكانت في الخامسة والثمانين وكانت تعاني الاستسقاء أيضًا. من غير الممكن أن تكون هي. و"**ليوستافرتون**" المسكين دق عنقه في باحة الصيد وتم تجبيسه بالكامل . . ومن غير الممكن أن يكون هذا الحادث هو الموضوع الذي جئت من أجله. ربما لا تكون هناك جريمة. وا أسفاه! إنني غير قادرة على أن أتذكر أية واقعة سرقة مجوهرات في الآونة الأخيرة. . . ربما أنك تبحث عن مجرم معين. . . هل هي "**بيريل لاركين**" هل قتلت زوجها بالسم؟ ربما الندم هو الذي يجعل تصرفاتها غامضة إلى هذا الحد. صاح "**بوارو**" قائلاً:

– يا سيدتي . . يا سيدتي . . لقد تجاوزت كل حدود سرعة الاستنتاج.

– هذا هراء يا "**هركيول بوارو**" . أنت تسعى وراء شيء معين.

– لديك علم بالكتابات الكلاسيكية يا سيدتي؟

– وما دخل الكتابات الكلاسيكية بهذا؟

– لها دخل به في أنني أحاكي سلفي العظيم "**هرقل**" . كانت إحدى بطولات "**هرقل**" هي ترويض خيل "**ديوميدس**" المتنمرة.

– لا تقل إنك أتيت إلى هنا لترويض خيل . . في مثل سنك هذه . . وخاصة أنك دائم الارتداء لهذا الحذاء الجلدي اللامع الأنيق! يبدو لي أنك لم تمتط ظهر جواد طوال حياتك!

– الخيل يا سيدتي .. مجرد رموز. كانت خيلا ضارية تقتات على لحوم البشر.

– كم هذا سوء خلق منها. أعتقد دائمًا أن هؤلاء الرومان واليونانيين القدماء سيئون تمامًا. ولا يمكنني أن أعرف سببًا لأن يكون رجال الدين مولعين بالاقتباس من الكتابات الكلاسيكية لأن المرء لا يفهم ما يعنونه أبدًا. كما يبدو أن مادة موضوع الكتابات الكلاسيكية برمتها غير مناسبة لرجال الدين كلية. كل هذا القدر من سفاح القربى وكل تلك التماثيل العارية تمامًا .. ولا يعني هذا أن في ذلك شيئًا يضايقني، لكن تعلم كم يكون غضب رجل الدين إذا دخلت فتاة دار العبادة دون جوارب .. والآن لنرَ .. أين توقفت؟

– لست متأكدًا تمامًا.

– أعتقد أنك لن تخبرني .. أيها البائس .. هل قتلت السيدة "**لاركين**" زوجها؟ أم ربما أن "**أنتوني هوكر**" هو قاتل من كان بالسيارة في "**برايتون**"؟ نظرت إليه آملة ولكن وجه "**هركيول بوارو**" ظل على هدوئه. قالت السيدة "**كارمايكل**" متحزرة:

– ربما هي واقعة تزوير. فقد رأيت السيدة "**لاركين**" في صباح يوم ليس ببعيد بالبنك تصرف شيكًا بمبلغ خمسين جنيها لأمرها .. بدا لي عندئذ أن المبلغ كبير لأن تحتاج إلى الحصول عليه نقدًا. لا. لا. أعني عكس ذلك تمامًا .. لو كانت مزورة ما أودعته بالبنك .. أليس كذلك؟ يا "**هركيول بوارو**"، إذا ظللت جالسًا حيث أنت مثل بومة صامتة لا تقول شيئًا فسوف أقذفك بأي شيء في متناول يدي. فقال "**هركيول بوارو**":

– لابد لك من قدر من صبر!

- 4 -

لم يكن منتجع "**أشلي**" - مقر إقامة اللواء "**جرانت**" - بالمنزل الكبير. كان واقعًا على جانب تل، وملحقًا به إصطبلات جيدة وحديقة غير منسقة مهملة.

وكان داخل المنزل ما يصفه سماسرة العقارات بأنه مكتمل الأثاث والرياش. أطل عدد من تماثيل "**بوذا**" متربعًا من كوى مناسبة، وأثقل الأرضية عدد من الصواني والمناضد النحاسية وزينت مواكب الفيلة الأرفف وأضافت بعض الكلمات المصنوعة من النحاس المشغول إلى جمال الجدران.

وفي وسط هذا البيت الإنجليزي الهندي كان اللواء "**جرانت**" جالسًا على مقعد مجنح بالٍ كبير وساقه مكسوة بالضمادات مستقرة فوق مقعد آخر. قال موضحًا:

- إنه النقرس. هل أصبت بالنقرس أبدًا يا سيد .. "**بوارو**"؟ يجعل المرء سيئ المزاج! كل هذا بسبب خطإٍ أبي. كان يشرب الخمور البرتغالية طوال حياته .. وهكذا كان جدي. لقد أفسد حياتي. هل لك في كأس مشروب؟ اضغط زر هذا الناقوس من فضلك حتى يأتي خادمي.

ظهر فوراً خادم يرتدي عمامة، خاطبه اللواء "**جرانت**" باسم "**عبدول**" وأمره بأن يحضر الويسكي والصودا. وعندما أتى بهما سكب قدراً سخيًّا جدًّا حدا بـ"**بوارو**" إلى أن يعترض. قال "**اللواء**" وهو يعاين المشروب الذي حرم من تناوله بأسى:

- يؤسفني أنه لا يمكنني أن أشاركك. أخبرني طبيبي بأنه بمثابة سم لي. لا أعتقد أنه يعلم شيئًا عن ذلك. أناس جهلة هؤلاء الأطباء. يفسدون المتعة ويستمتعون بحرمان المرء من الطعام والشراب وحمله على اتباع نظام غذائي لين مثل الأسماك المدخنة. الأسماك المدخنة .. ياه!

حرّك "**اللواء**" قدمه المصابة بغير حذر بينما هو يعبِّر عن ازدرائه فأطلق صيحة أسى لشدة الآلام المترتبة على ذلك. ثم اعتذر عن الألفاظ غير اللائقة التي تفوه بها.

– إنني أشبه بدب مصاب في رأسه. تجتنبني بناتي كلما أصابتني نوبة من نوبات آلام النقرس. ولا ألومهن على ذلك. سمعت أنك التقيت إحداهن.

– نعم. كان لي هذا الشرف. لديك أكثر من ابنة واحدة أليس كذلك؟

فأجاب "**اللواء**" بنبرة كئيبة:

– أربع بنات ولا غلام معهن. أربع بنات طارفات. مسؤولية في هذه الأيام.

– سمعت أنهن فاتنات جميعًا.

– لسن قبيحات جداً.. لسن قبيحات جداً. لعلمك الخاص لا أعرف أبداً ما يعتزمن فعله. لا يمكنك السيطرة على البنات في هذه الأيام. زمن منحل.. قدر كبير من الانحلال في كل مكان. ما الذي باستطاعة الرجل أن يفعله؟ لا يمكنني احتباسهن.. أليس كذلك؟

– تخيل إليّ أنهن محبوبات في هذه المنطقة. قال اللواء "**جرانت**":

– بعض النساء العجائز لا يحببنهن. وعدد كبير من الخراف في ثياب الحملان يجوب المنطقة. لابد للرجل من أن يكون حذراً. كادت إحدى تلك الأرامل العجائز الإيقاع بي.. اعتادت أن تأتي إلى هنا مخرخرة كهرة صغيرة: "مسكين يا لواء "**جرانت**".. لابد أن حياتك كانت مثيرة للاهتمام جداً". طرف "**اللواء**" بعينه واضعًا إصبعًا على أنفه ثم استطرد قائلاً:

– الأمر غاية في الوضوح يا سيد "**بوارو**". إذا أخذت هذه البقعة من العالم في الاعتبار ككل فستجد أنها ليست سيئة وإن كانت سريعة الإيقاع ومفعمة بالضجيج بما لا يناسب ذوقي. كنت أحب الريف عندما كان ريفًا.. دون كل هذه السيارات والموسيقى الراقصة والمذياع الصادح دائمًا. لا أوافق على اقتناء

مذياع بالمنزل والبنات يعلمن ذلك. للرجل الحق في قدر من الهدوء بداخل بيته.
حول "**بوارو**" مجرى الحديث برفق شديد إلى موضوع "**أنتوني هوكر**".

- "**هوكر**"؟ "**هوكر**"؟ لا أعرفه. نعم .. نعم أعرفه. رجل سيئ الطلعة ذو عينين متقاربتين جدًّا. لا أثق أبداً برجل لا يستطيع النظر إلى وجه المرء.

- هو صديق لابنتك "**شيلا**" .. أليس كذلك؟

- "**شيلا**"؟ لم أكن لأعلم بذلك. لا تخبرني بناتي بأي شيء أبداً. هبط الحاجبان الكثيفان على الأنف .. بينما أطلت العينان الزرقاوان الثاقبتان من الوجه الأحمر على وجه "**هركيول بوارو**" مباشرة:

- اسمعني يا سيد "**بوارو**" .. علام كل هذه الضجة؟ هلا أخبرتني بسبب مجيئك لمقابلتي؟ أجاب "**بوارو**" بنبرة بطيئة:

- يصعب عليّ ذلك .. ربما لأنني أنا ذاتي لا أعرفه. كل ما يمكنني قوله هو هذا: إن ابنتك "**شيلا**" .. وربما جميع بناتك .. مرتبطات ببعض الصداقات غير المناسبة.

- مرتبطات بصداقات رديئة؟ هل هذا صحيح؟ هذا ما كنت أخشاه. أسمع كلمة من هنا أو من هناك. رمق "**بوارو**" بنظرات الأسى:

- لكن ماذا عساي أن أفعل يا سيد "**بوارو**"؟ ماذا عساي أن أفعل؟ هز "**بوارو**" رأسه بغضب وحيرة بينما استطرد اللواء "**جرانت**" قائلاً:

- ما العيب في المجموعة التي يصادقنها؟ أجاب "**بوارو**" بطرح سؤال آخر:

- هل لحظت يا لواء "**جرانت**" أن أيا من بناتك كانت متقلبة الحالة المزاجية ومنفعلة .. ثم مكتئبة .. وعصبية .. وغير مستقرة المزاج؟

- لتحل بي اللعنة يا سيدي. إنك تتحدث كطبيب متخصص. لا. لم ألحظ شيئًا من هذا النوع. فقال "**بوارو**" بنبرة جادة:

- هذا من دواعي حسن الحظ.

– ما معنى كل هذا .. بحق الجحيم .. يا سيدي؟

– المخدرات!

– ماذا! جاءت هذه الكلمة بمثل الزئير. فقال "**بوارو**" :

– هناك محاولة لدفع ابنتك "**شيلا**" لتصبح مدمنة مخدرات. اعتياد تعاطي الكوكايين السريع التكوين. أسبوع أو أسبوعان على الأكثر يكفيان. وما إن تتشكل هذه العادة حتى يصبح المدمن على استعداد لأن يدفع أي شيء أو يفعل أي شيء حتى يحصل على جرعة أخرى من المخدر. لا شك في أنك تدرك مقدار الثروة التي يمكن لتاجر المخدرات أن يجمعها.

أصغى في صمت إلى الشتائم والألفاظ النابية التي خرجت من شفتي الرجل الغاضب ثم عندما هدأت ثورته خاتمًا إياها بوصف منتقى لما سيفعله "**اللواء**" بذلك الـ. . . ابن الـ. . . إذا ما وقع في قبضته، قال "**هركيول بوارو**" :

– علينا أولاً أن نمسك برأس الأفعى. فما إن نقبض على تاجر المخدرات حتى أسلمه لك بكل سرور يا سيادة "**اللواء**".

ثم نهض "**بوارو**" وتعثر في منضدة صغيرة كثيرة الزخارف المحفورة ثم استعاد توازنه بأن أمسك بـ"**اللواء**" وقال متمتماً :

– أعتذر إليك بشدة واسمح لي بأن أطلب منك يا سيادة "**اللواء**" .. بل أتوسل إليك .. ألا تذكر شيئًا من كل هذا لبناتك.

– ماذا؟ لابد من أن أعرف الحقيقة منهن. هذا ما سوف أعرفه!

– هذا تحديداً ما لن تعرفه أبداً؛ لأن كل ما سوف تحصل عليه هو الكذب.

– لكن لتحل بي اللعنة يا سيدي..

– أؤكد لك يا سيادة اللواء "**جرانت**". لابد لك من أن تصمت. هذا ضروري.. هل تفهم؟ ضروري جداً! فقال المحارب القديم مزمجراً :

– حسنا. ليكن لك ما تريد. بدا مضطرًا وليس مقتنعًا. سلك "**هركيول**

بوارو طريقه بحذر بين التحف النحاسية وغادر المنزل.

- 5 -

كانت حجرة السيدة "**لاركين**" مزدحمة بالزائرين. أما هي فكانت أمام منضدة جانبية تمزج المشروبات. كانت امرأة طويلة القامة ذات شعر أصحر (أسمر محمرّ) باهت مطوي عند قفا عنقَها، وعينين رماديتين ضاربتين إلى اللون الأخضر بؤبؤاهما أسودان كبيران. كانت خفيفة الحركة ذات رشاقة مفتعلة قليلاً. بدت وكأنها في أوائل الثلاثينيات من العمر، لا يكشف سوى التدقيق من قرب عن التجاعيد الطفيفة عند زوايا عينيها ليوحي بأنها أكبر سنًّا مما تبدو عليه بعشر سنوات على الأقل.

كان "**هركيول بوارو**" قد أتى إلى هذا المنزل بصحبة سيدة في منتصف العمر صديقة للسيدة "**كار مايكل**". وجد أن مشروبًا قدم إليه وأنه وجّه بعد ذلك لأن يحمل آخر إلى فتاة جالسة بجوار النافذة. كانت الفتاة صغيرة الحجم شقراء الشعر .. وجهها وردي وأبيض .. شبه ملائكي. لحظ "**هركيول بوارو**" فوراً أن عينيها كانتا منتبهتين تنطقان بالريبة. قال:

– نخب صحتك الجيدة على الدوام يا آنستي. أومأت وشربت. قالت بعد ذلك على نحو مفاجئ:

– أنت تعرف أختي.

– أختك؟ آه .. أنت إذن واحدة من بنات اللواء "**جرانت**"؟

– أنا "**بام جرانت**".

– وأين أختك اليوم؟

– خرجت للصيد. من المفترض أن تعود حالاً.

– قابلت شقيقتك في "**لندن**".

– أعلم.

– أخبرتك؟ أومأت "**بام جرانت**" ثم قالت فجأة:

– هل كانت "**شيلا**" في مأزق؟

– لم تخبرك بكل شيء إذن؟ هزت الفتاة رأسها. سألت:

– هل كان "**أنتوني هوكر**" متواجداً هناك؟

وقبل أن تتاح الفرصة لـ"**بوارو**" ليجيب فتح الباب ودخل "**هوكر**" و"**شيلا جرانت**". كانا مرتديين ملابس الصيد وكانت على وجنة "**شيلا**" آثار وحل.

– أهلاً جميعًا. لقد أتينا لنتناول مشروبًا. قارورة "**أنتوني**" فارغة. فقال "**بوارو**" متمتمًا:

– لغة الملائكة.. فقاطعته "**بام جرانت**" بقولها:

– تعني الشياطين. فقال "**بوارو**" بنبرة حادة:

– هل هذا هو الحال؟ كانت "**بيريل لاركين**" قد تقدمت نحو الأمام. قالت:

– هيا يا "**أنتوني**". حدثني عن السباق؟ هل تعادلتم مع فريق أيكة "**جيلرت**"؟

ثم جذبته معها بمهارة بعيداً إلى أريكة قريبة من المدفأة. رآه "**بوارو**" يدير رأسه وينظر إلى "**شيلا**" قبل أن يذهب. كانت "**شيلا**" قد رأت "**بوارو**". ترددت دقيقة ثم أقبلت نحو الاثنين الجالسين عند النافذة. قالت فجأة:

– أنت إذن الذي أتيت إلى المنزل أمس؟

– هل أخبرك والدك؟ هزت رأسها:

– وصفك "**عبدول**". وأنا.. خمنت. قالت "**بام**" متعجبة:

– ذهبت لمقابلة أبي؟ فقال "**بوارو**":

– آه.. نعم. لنا.. أصدقاء مشتركون. قالت "**بام**" بنبرة حادة:

– لا أصدق.

– ماذا لا تصدقين؟ أن من الممكن أن يكون لوالدك ولي أصدقاء مشتركون؟ توردت وجنتا الفتاة:

– كف عن هذه الحماقة. ما كنت أعنيه هو .. أن هذا لم يكن السبب الحقيقي لزيارتك. ثم استدارت نحو شقيقتها:

– لماذا لا تقولين شيئًا يا "**شيلا**"؟ فزعت "**شيلا**". قالت:

– لم تكن .. لزيارتك صلة بـ"**أنتوني هوكر**"؟ فسأل "**بوارو**":

– ولماذا يجب أن تكون كذلك؟ تورد وجه "**شيلا**" وعادت إلى الآخرين في الجانب الآخر من الحجرة. قالت "**بام**" بحماس مفاجئ لكن بصوت خافت:

– لا أستريح لـ"**أنتوني هوكر**". هناك شيء .. غير مريح به .. وبها .. أعني السيدة "**لاركين**". انظر إليهما الآن.

تبع "**بوارو**" نظراتها. كان رأس "**هوكر**" قريبًا من رأس مضيفته. بدا مهدئًا إياها. ارتفع صوتها دقيقة:

– .. لكن لا يمكنني الانتظار. أريده الآن! قال "**بوارو**" مبتسمًا بقدر طفيف:

– النساء .. أيا كان هذا الشيء .. دائمًا ما يردنه الآن، أليس كذلك؟

لكن "**بام جرانت**" لم تجب بشيء. كان وجهها متجها إلى أسفل وأصابعها تعبث بعصبية بجونلتها التويد، تطوي نسيجها وتفرده. قال "**بوارو**" متمتمًا من قبيل مواصلة الحوار:

– أنت مختلفة تمامًا عن شقيقتك يا آنستي. دفعت برأسها إلى أعلى رافضة الكلام العادي المبتذل. قالت:

– يا سيد "**بوارو**" .. ما هي المادة التي كان "**أنتوني**" يعطيها لـ"**شيلا**"؟ ما ذلك الذي جعل منها .. فتاة مختلفة؟ نظر إلى وجهها مباشرة ثم سأل:

– هل سبق لك تعاطي الكوكايين يا آنسة "**جرانت**"؟ هزت رأسها:

– آه. لا! إنه ذلك إذن! الكوكايين؟ لكن أليس هذا بالغ الخطورة؟ كانت "**شيلا جرانت**" قد انتقلت إليهما وبيدها مشروب آخر. قالت:

– ما هذا الذي هو بالغ الخطورة؟ فقال "**بوارو**":

– نتحدث عن آثار تعاطي المخدرات. عن الموت البطيء للعقل والروح.. تدمير كل ما هو صادق وصالح في الكائن البشري.

كبحت "**شيلا جرانت**" أنفاسها. تأرجحت الكأس بيدها وانسكب قدر من المشروب على الأرض. واصل "**بوارو**" حديثه قائلاً:

– أعتقد أن الدكتور "**ستودارت**" قد أوضح لك ما يترتب عليه موت الحياة هذا. سهل الحدوث.. وصعب جداً إبطال المفعول. والشخص الذي يحقق أرباحًا متعمدة من هدم الآخرين ومآسيهم ليس إلا مصاص دماء يقتات لحوم البشر ودماءهم.

استدار بعيداً. سمع من خلفه صوت "**بام جرانت**" يقول: "**شيلا**"! وسمع همسًا.. همسًا خافتًا من "**شيلا جرانت**". كان خافتًا تمامًا بحيث سمعه بصعوبة بالغة:

– القارورة...

ودّع "**هركيول بوارو**" السيدة "**لاركين**" وخرج إلى الرواق. كانت فوق منضدة الرواق قارورة صيد وبجانبها سوط قصير وقبعة. رفعها "**بوارو**". كان عليها الحرفان الأولان من اسم: أ هـ. قال "**بوارو**" متمتمًا لنفسه:

– قارورة "**أنتوني**" فارغة؟

هزّها برفق. لم يكن بها صوت خمر. فتح الغطاء. لم تكن قارورة "**أنتوني هوكر**" فارغة. كانت ملأى.. بمسحوق أبيض...

ـ 6 ـ

وقف "**هركيول بوارو**" في شرفة منزل السيدة "**كار مايكل**" متحدثًا مع فتاة، قال:

ـ أنت صغيرة السن جداً يا آنستي. أعتقد أنك لست على علم .. لست على علم حقيقي .. بما تفعلينه أنت وشقيقاتك. فأنتن مثل أفراس "**ديوميدس**" التي تقتات لحوم البشر. ارتجفت "**شيلا**" ونشجت. قالت:

ـ يبدو الأمر بشعا بالتعبير عنه هكذا. ولكنه الحقيقة مع ذلك! لم أتبين ذلك قط حتى ذلك المساء في "**لندن**" عندما تحدث الدكتور "**ستودارت**" معي بشأنه. كان صارمًا جداً .. ومخلصًا جداً. رأيت عندئذ مدى بشاعة ما أفعله... وقبل ذلك كنت أظن أنه .. آه! أشبه بمشروب مسكر بعد ساعات.. شيء يدفع الناس مالاً في سبيل الحصول عليه لكن ليس شيئًا له أهمية كبيرة بحق! قال "**بوارو**":

ـ والآن؟ قالت "**شيلا جرانت**":

ـ سأفعل أي شيء تقوله لي. ثم أضافت:

ـ سوف أتحدث مع الآخرين... لا أعتقد أن الدكتور "**ستودارت**" سوف يتحدث معي ثانية. فقال "**بوارو**":

ـ على العكس. الدكتور "**ستودارت**" وأنا على استعداد لمساعدتك بكل ما يمكننا على أن تبدئي بدءاً جديداً. يمكنك أن تثقي بنا. ولكن شيئًا واحداً ينبغي أن يتم. هناك شخص واحد ينبغي أن يحطم .. ويحطم كليًّا وتمامًا ولا أحد غيرك أنت وأخواتك يمكنه أن يحطمه. شهادتكن وشهادتكن وحدها هي التي ستدينه.

ـ تعني .. أبي؟

– ليس أبوك يا آنستي. ألم أخبرك بأن "**هركيول بوارو**" يعرف كل شيء؟ تم تعرُّف صورتك الفوتوغرافية بسهولة تامة بالدوائر الرسمية. أنت "**شيلا كيلي**".. سارقة المعروضات المحترفة التي أودعت إحدى الإصلاحيات منذ سنوات. وعندما غادرت تلك الإصلاحية التقى بك ذلك الرجل الذي يقول إنه اللواء "**جرانت**" وعرض عليك هذه الوظيفة .. وظيفة الابنة. وعدك بالكثير من المال وأسباب المتعة والأوقات السعيدة. وكل ما عليك أن تفعليه مقابل ذلك هو أن تقنعي الأصدقاء بتعاطي هذه المادة وتعرفيهم بها، متظاهرة دائمًا بأن شخصًا ما قد أعطاك إياها. وكانت حالة "أخواتك" متطابقة مع حالتك. توقف قليلاً ثم قال:

– والآن يا آنستي .. لابد من أن يكشف أمر هذا الرجل ويحاكم. وبعد ذلك..

– نعم .. وبعد ذلك؟ سعل "**بوارو**" ثم قال مبتسمًا:

– ستكونين مكرسة لخدمة الآلهة...

– 7 –

رمق "**مايكل ستودارت**" "**بوارو**" بنظرات الذهول. قال:

– اللواء "**جرانت**"؟ اللواء "**جرانت**"؟

– حصريًا يا عزيزي. كان كل المشهد ما يمكن أن تصفه بأنه "زائف تمامًا". تماثيل "**بوذا**" والتحف النحاسية والخادم الهندي! والنقرس أيضًا! إنه مرض عتيق هذا النقرس. المسنون جداً هم المصابون به.. وليس آباء فتيات تحت العشرين. صمت قليلاً ثم استطرد قائلاً:

– والأكثر من هذا أنني تأكدت تمامًا من ذلك. تعمدت عند خروجي

من عنده أن أتعثر وأن أتشبث بالقدم المصابة بالنقرس. ولكن الرجل كان مضطربًا جداً مما سمعني أقوله بحيث إنه لم ينتبه لذلك أو حتى يلحظه. نعم. إنه زائف تمامًا هذا "**اللواء**" ! ومع ذلك كانت فكرته ذكية. اللواء الإنجليزي.. الهندي المتقاعد، الشخصية الكوميدية المشهورة الخليعة الغضوبة، يستقر.. ليس بين غيره من ضباط الجيش الإنجليزي الهندي .. بل يذهب إلى وسط باهظ التكلفة بالنسبة إلى رجل الجيش المتقاعد العادي. يوجد أثرياء هناك، من "**لندن**"، مجال متميز لتسويق بضاعته. ومن الذي من الممكن أن يشك في أربع فتيات مفعمات بالحيوية والجاذبية؟ فإذا كشف الأمر يعتبرن ضحايا .. هذا أمر مؤكد!

– ماذا كانت فكرتك تحديداً عندما ذهبت لمقابلة الشيطان العجوز؟ هل كنت تريد أن تروّعه؟

– نعم. كنت أريد أن أعرف ماذا عسى أن يحدث. لم يكن لديّ وقت لأنتظر طويلاً. كانت الفتيات قد تلقين الأوامر. "**أنتوني هوكر**"، وهو أحد ضحاياهن، كان سيصبح كبش الفداء. كان من المفترض أن تخبرني "**شيلا**" بأمر القارورة التي بالرواق ولكنه لم يمكنها تقريبًا أن تحمل نفسها على ذلك .. ولكن الفتاة الأخرى نطقت غاضبة تناديها باسمها، واعتبرت ذلك خطأً. نهض "**مايكل ستودارت**" وأخذ يذرع الحجرة ذهابا وإيابًا. قال:

– لن أترك هذه الفتاة تغيب عن بصري أبدًا. لديّ نظرية صحيحة جدًّا عن هذه الميول الإجرامية لدى المراهقين. إذا بحثت في الحياة السرية لهؤلاء غالبًا ما تجد .. فقاطعه "**بوارو**" بقوله:

– يا عزيزي، أكن عميق الاحترام لعلمك. ولا أشك في أن نظرياتك سوف تنجح إلى حد بعيد فيما يتصل بالآنسة "**شيلا كيلي**".

– وبالأخريات أيضا.

– الأخريات ربما. ربما يكون هذا ممكنًا. الوحيدة التي أنا واثق بها هي "**شيلا**" الصغيرة. سوف تروّضها .. لا شك في ذلك! واقع الأمر أنها شديدة الإذعان لك فعليًّا... ظهرت حمرة الخجل على وجه "**مايكل ستودارت**". قال:

– أي هراء تقول يا "**بوارو**".

*****

القضية الثامنة

"مِشَدّ هيبوليتا"

شخصيات الرواية:

– المفتش "**هركيول بوارو**" : مخبر سري.

– "**ألكسندر سمبسون**" : صاحب قاعة عرض لوحات فنية وصديق لـ"**بوارو**" .

– الآنسة "**بوب**" : صاحبة مؤسسة الطبقة الراقية لتعليم الفتيات الفن والموسيقى.

– الآنسة "**برشو**" : وكيلة الآنسة "**بوب**" والمسؤولة عن اصطحاب الفتيات إلى المؤسسة والعناية بهن.

– "**ويني كينج**" : فتاة صغيرة اختفت في أثناء ذهابها إلى مؤسسة الآنسة "**بوب**" .

– "**جيمز إليوت**" : شاب سيئ السمعة متزوج بشابة فاتنة.

– "**جاب**" : رئيس مفتشي الشرطة.

– "**هيرن**" : مفتش المباحث.

- 1 -

شيء واحد يقود إلى آخر، كما يقول "**هركيول بوارو**" بولع شديد وبلا كثير من التجديد. يضيف بأن لا شيء أدلّ على ذلك من قضية سرقة لوحة "**روبينز**".

لم يكن من المعجبين بأعمال "**روبينز**"؛ لأن "**روبينز**" بادئ ذي بدء ليس بالرسام الذي يحوز إعجابه. ثم إن ظروف السرقة كانت عادية. وقد قبل القضية مجاملة لـ"**ألكسندر سمبسون**" الذي لم يكن – بسبب صداقته له ولدواعي أخرى خاصة به – بعيد الصلة بالأعمال الكلاسيكية!

بعد وقوع السرقة أرسل "**ألكسندر سمبسون**" في طلب "**بوارو**" وسكب كل همومه بين يديه. كانت هذه اللوحة كشفًا حديثًا وكانت رائعة فنية غير مشهورة حتى تلك اللحظة لكن لم يكن هناك أدنى شك حول موثوقيتها وأصالتها. كانت تلك اللوحة ضمن المعروضات بقاعة العرض التي يمتلكها "**سمبسون**" ووقعت السرقة في وضح النهار. حدث ذلك أثناء مواصلة المتعطلين عن العمل ممارساتهم الرقاد في مفترق الطرق والتسلل إلى داخل الـ"**رتيس**". كانت مجموعة صغيرة من هؤلاء المتظاهرين قد دخلت معرض "**سمبسون**" رافعين شعار "الفنون ترف .. أشبعوا الجياع أولاً". تم الاتصال بأجهزة الشرطة فوراً. تجمهر كثيرون في المكان بدافع الفضول ولم يلحظ أحد أن لوحة "**روبينز**" الجديدة قد تم فصلها عن إطارها بدقة نادرة وانتزاعها إلا بعد أن تم تفريق المتظاهرين بالقوة وبذراع القانون. قال السيد "**سمبسون**" موضحًا:

– إنها لوحة صغيرة جداً. يمكن للمرء حملها تحت ذراعه بينما تتجه أنظار الجميع إلى أولئك الأغبياء البؤساء من العاطلين.

اكتشف أن هؤلاء الرجال قد تقاضوا أجراً عن دورهم البريء في عملية

السرقة. طلب منهم التظاهر في معرض "**سمبسون**" ولكنهم كانوا يجهلون السبب ولم يعرفوه إلا فيما بعد. رأى "**هركيول بوارو**" أنها حيلة ظريفة وإن لم ير ما يمكنه أن يفعله بشأنها. قال إنه من الممكن أن نثق بقدرة الشرطة على التعامل مع سرقة بالطرق العادية المألوفة. قال "**ألكسندر سمبسون**" :

- اسمعني يا "**بوارو**" . أعرف الذي سرق اللوحة وأعرف إلى من ستذهب.

أفاد مالك معارض "**سمبسون**" أنها قد سرقت بواسطة عصابة من الأشقياء لصالح مليونير معين، ليس فوق مستوى اقتناء الأعمال الفنية بأسعار بخسة إلى حد مذهل . .ودون إثارة أية شكوك! قال "**سمبسون**" إن اللوحة سوف يتم تهريبها إلى "**فرنسا**" حيث يمكن تمريرها إلى ذلك المليونير. تم إخطار الشرطة الإنجليزية والفرنسية ومع ذلك رأى "**سمبسون**" أنهما سوف يخفقان. وأن اللوحة ما إن تصبح ضمن مقتنيات هذا الكلب القذر حتى يكون استردادها أكثر صعوبة؛ لأن الأثرياء ينبغي أن يعاملوا باحترام. وهذا هو دورك. سيكون الموقف شديد الحساسية. وأنت الرجل المناسب له.

أخيراً وبلا حماس أغري "**هركيول بوارو**" بقبول المهمة. وافق على السفر إلى "**فرنسا**" فوراً. لم يكن شديد الاهتمام بمسعاه لكن بسببه عرضت عليه حالة تلميذة المدرسة المفقودة التي استحوذت على قدر كبير من اهتمامه بحق.

سمع عن هذا الموضوع أول الأمر من رئيس مفتشي الشرطة "**جاب**" الذي مر به بمنزله في اللحظة نفسها التي كان "**بوارو**" يعبر فيها لخادمه الخاص عن رضاه عن محتويات حقيبة السفر التي أعدها له. قال "**جاب**" :

- ها! مسافر إلى "**فرنسا**" . أليس كذلك؟ وقال "**بوارو**" :

- يا عزيزي . . أنت على علم تام بكل ما يدور بدواوين الشرطة من تحريات.

وضحك "**جاب**" قائلاً:

- لدينا عيوننا! لقد كلفك "**سمبسون**" بموضوع لوحة "**روبينز**" . يبدو أنه

قليل الثقة بنا! حسنا. لا أهمية لذلك الآن. ولكن ما أريده منك شيئًا مختلفًا تمامًا. مادمت مسافرا إلى "**باريس**" في جميع الأحوال رأيت أنه من الأفضل أن تصطاد عصفورين بحجر واحد. مفتش المباحث "**هيرن**" هناك حاليًّا ليتعاون مع الشرطة الفرنسية .. تعرف "**هيرن**"؟ رجل كفء وإن لم يكن خصب الخيال جداً. أحب أن أستنير برأيك في الموضوع.

– أي موضوع ذلك الذي تتحدث عنه؟

– طفلة اختفت. ستنشر الواقعة في صحف هذا المساء. يبدو الأمر وكأنه قد تم اختطافها. ابنة رجل دين في "**كرانشستر**". اسمها "**كينج**" .. "**ويني كينج**". وواصل سرد القصة.

كانت "**ويني**" في طريقها إلى "**باريس**" لتلتحق بمؤسسة الطبقة الراقية المنتخبة للفتيات الإنجليزيات والأمريكيات .. مؤسسة الآنسة "**بوب**". كانت "**ويني**" قد جاءت من "**كرانشستر**" بقطار الصباح الباكر، وكانت قد رؤيت في "**لندن**" بواسطة إحدى عضوات "**الأخوات الكبيرات ليمتد**" تلك المؤسسة التي اضطلعت بمهمة الإشراف على انتقال الفتيات من محطة إلى أخرى، وسلِّمت في محطة "**فيكتوريا**" إلى الآنسة "**برشو**" وكيلة الآنسة "**بوب**"، ثم وبصحبة ثماني عشرة فتاة أخرى غادرت "**فيكتوريا**" بقطار البحر. تسع عشرة فتاة عبرن القنال، مرورًا بالجمرك في "**كاليه**" وركبن قطار "**باريس**" وتناولن الغداء بعربة المطعم. لكن عند الوصول إلى أطراف "**باريس**" قامت الآنسة "**برشو**" بعَدّ الرؤوس، واكتشف أن لا وجود لأكثر من ثماني عشرة فتاة! أومأ "**بوارو**" قائلاً:

– آها .. هل توقف القطار في أي مكان؟

– توقف في "**أمينز**" لكن عندئذ كانت الفتيات في عربة المطعم وجميعهن متأكدات من أن "**ويني**" كانت معهن. بمعنى أنها تغيبت عنهن في رحلة العودة إلى مقصوراتهن بالقطار. بمعني أنها لم تدخل المقصورة المخصصة لها مع الخمس

بنات الأخريات اللواتي كن بها . لم يكن هناك شك في حدوث أي شيء بل ظنن أنها كانت بإحدى العربتين الأخريين المحجوزتين للمجموعة. أومأ "بوارو" :

– بناء على ذلك .. رؤيت لآخر مرة، متى بالضبط؟ سعل "جاب" بتواضع ثم قال:

– بعد مغادرة القطار "أمينز" بحوالي عشر دقائق. رؤيت آخر مرة .. تدخل دورة المياه. قال "بوارو" متمتماً:

– أمر طبيعي تماماً. ثم استطرد قائلا :

– لا شيء آخر؟ قال "جاب" وقد اكتسى وجهه بتعبيرات الكآبة:

– نعم. شيء واحد. تم العثور على قبعتها بجانب شريط السكة الحديد .. على بعد اثنين وعشرين كيلو متراً من "أمينز" تقريباً.

– ولا جثة؟

– لا جثة. سأل "بوارو" :

– وما هو رأيك الشخصي؟

– من الصعب أن أكون رأياً! ليس هناك ما يشير إلى وجود جثتها .. من المستحيل أن تكون قد سقطت من القطار.

– هل توقف القطار بعدما غادر "أمينز" ؟

– لا. أبطأ السير مرة واحدة .. في انتظار الإشارة .. ولكنه لم يتوقف. بل أشك في أنه قد أبطأ بما يسمح لأي إنسان بأن يقفز منه دون إصابة. هل تظن أن الطفلة أصيبت بالرعب وحاولت الفرار؟ كان هذا هو الفصل الدراسي الأول لها وربما أحست بحنين إلى البيت. هذا ممكن جداً ولكنها في الخامسة عشرة والنصف من عمرها .. في سن معقولة. وكانت مرحة طوال الرحلة تتحدث مع الجميع وكل ذلك. سأل "بوارو" :

– هل تم تفتيش القطار؟

– نعم. تم تفتيشه بكل عناية قبل أن يصل إلى محطة "**نورد**". ولم تكن الفتاة بالقطار. هذا أمر مؤكد. ثم أضاف "**جاب**" بأسلوب ينم عن اليأس:

– لقد اختفت وحسب .. ذابت في الهواء! لا معنى لهذا يا سيد "**بوارو**". إنه أمر يدفع إلى الجنون.

– أية نوعية من البنات كانت؟

– من النوعية الطبيعية العادية .. حسب تقديري.

– أعني .. كيف كانت تبدو؟

– لديّ صورة لها هنا. ليست واعدة بجمال فتان. وقدم الصورة الفوتوغرافية إلى "**بوارو**" الذي أخذ يتأملها في صمت.

كانت هذه الصورة لفتاة طويلة القوام هزيلة البنية صففت شعرها على هيئة جديلتين نحيلتين. لم تكن صورة إرادية بل كان واضحًا أنها التقطت لها دون علمها وهي تأكل تفاحة. ظهرت شفتاها بالصورة منفرجتين تكشفان عن أسنان بارزة قليلاً تحددها شريحة طبيب أسنان معدنية. وكانت الفتاة ترتدي نظارة. قال "**جاب**":

– فتاة عادية جداً. ولكن البنات تبدو عادية في هذه السن! كنت عند طبيب أسناني بالأمس. وشاهدت صورة لـ"**مارشا جونت**" ملكة جمال هذا الموسم. أتذكرها في سن الخامسة عشرة. حيث توجهت إلى "**كاسيل**" بشأن السرقة التي حدثت لهم. كانت نحيلة منقطة الوجه ضعيفة الشعر ذات أسنان بارزة. تتحول هذه البنات فجأة إلى فاتنات .. لا أدري كيف يحدث لهن هذا! إنه أشبه بالمعجزة. ابتسم "**بوارو**" ثم قال:

– النساء جنس معجزي! وماذا عن أسرة هذه الطفلة؟ هل لديهم شيء مفيد يقولونه لنا؟ هز "**جاب**" رأسه:

– لا شيء مفيد. الأم مريضة والرجل في حالة اضطراب. يقسم على أن الفتاة

كانت تتطلع إلى الذهاب إلى "**باريس**" .. وكانت تواقة إلى أن تذهب. أرادت أن تدرس الرسم والموسيقى ومثل هذه الأشياء. تتميز بنات الآنسة "**بوب**" في دراسة الفنون بدرجة كبيرة. كما ربما تعلم مؤسسة الآنسة "**بوب**" مشهورة جداً. كثيرات من بنات المجتمعات الراقية يتعلمن هناك. وهي حازمة .. بل صارمة .. ومكلفة جداً .. ومدققة جداً في انتقاء الدارسات. تنهد "**بوارو**" :

– أعرف هذه النوعية. والآنسة "**برشو**" التي تولّت أمر البنات من "**إنجلترا**" ؟

– ليست حازمة جداً. وتخشى أن تحملها الآنسة "**بوب**" مسؤولية غياب الفتاة. قال "**بوارو**" مفكراً:

– لا وجود لشاب في هذا الموضوع؟ أومأ "**جاب**" في اتجاه الصورة قائلاً:

– هل تبدو أهلاً لذلك؟

– لا . لكن بغض النظر عن مظهرها ربما تكون ذات قلب شاعري. الخامسة عشرة ليست بالسن الصغيرة جداً. فقال "**جاب**" :

– حسنا. لو كان قلب شاعري هو الذي حدا بها إلى مغادرة ذلك القطار فسوف أعتاد قراءة روايات الأدب النسائي. نظر إلى "**بوارو**" آملاً وقال:

– ألا ترى شيئًا ملفتًا للانتباه؟ هز "**بوارو**" رأسه ببطء، ثم قال:

– ألم يجدوا حذاءها أيضًا بجوار شريط السكة الحديدية .. بطريق المصادفة؟

– الحذاء؟ لا . ولماذا الحذاء؟ فقال "**بوارو**" متمتمًا:

– مجرد فكرة.

– 2 –

كان "**هركيول بوارو**" يتأهب للخروج كي يركب سيارة الأجرة عندما دق ناقوس الهاتف، فرفع السماعة:

– نعم؟ سمع صوت "**جاب**" :

– إنني سعيد بأنني قد لحقت بك. لقد انتهى الموضوع يا صديقي. وجدت رسالة تنتظرني بمكتبي عندما عدت. لقد ظهرت الفتاة. على جانب الطريق الرئيسي على مسافة أربعة وعشرين كيلومتراً من "**أمينز**". تعاني الدوار ولا يمكنهم الحصول منها على قصة كاملة. ذكر الطبيب أنه قد تم تخديرها.. ومع ذلك هي بخير. لا شيء أصابها. قال "**بوارو**" بنبرة بطيئة:

– وبناء على ذلك لا تحتاجون إلى خدماتي؟

– يؤسفني أن أقول ذلك! في الواقع .. يؤسفني أنني قد أزعجتك... ضحك "**جاب**" على فكاهته وأنهى المكالمة. ولم يضحك "**هركيول بوارو**". أعاد السماعة إلى موضعها ببطء وبدا مهموماً جداً.

– 3 –

رمق مفتش المباحث "**هيرن**" "**بوارو**" بنظرات الفضول ثم قال:

– لم تكن لديّ أدنى فكرة عن اهتمامك إلى هذا الحد يا سيدي. فقال "**بوارو**" :

– تلقيت أخباراً من رئيس المفتشين "**جاب**" بأنه من الممكن أن أتشاور معك بشأن هذا الموضوع؟ أومأ "**هيرن**" :

– ذكر لي أنك قادم إلى هنا بشأن مهمة أخرى وأنك سوف تساعدنا في حل هذا اللغز ولكنني لم أتوقع اتصالك بي الآن بعد أن تكشف الموضوع. ظننت أنك ستكون مشغولاً بالعمل الذي أتيت من أجله. قال "**هركيول بوارو**" :

– العمل الخاص بي من الممكن أن ينتظر ولكن هذا الموضوع هو الذي يثير اهتمامي. وصفته بأنه لغز وتقول إنه انتهى الآن. ولكن اللغز لا يزال باقيًا كما يبدو.

– حسنا يا سيدي. لقد استعدنا الطفلة ولم يلحق بها أي أذى. وهذا هو الأمر الأهم.

– ولكنه لم يحل مشكلة كيف أمكنكم استعادتها .. أليس كذلك؟ ما الذي تقوله هي ذاتها؟ لقد عاينها أحد الأطباء. أليس كذلك؟ ماذا قال؟

– قال إنه قد تم تخديرها. كانت لا تزال تعاني الدوار بسببه. يبدو أنه لا يمكنها أن تتذكر الكثير بعد بدء رحلتها من "**كرانشستر**". يبدو أن جميع الأحداث التالية قد محيت من ذاكرتها. يعتقد الطبيب أنها ربما تكون قد تعرضت لارتجاج طفيف بالمخ. توجد كدمة بمؤخر الرأس. يقول إن هذا من الممكن أن يسبب فقدانًا تامًّا مؤقتًا للذاكرة. فقال "**بوارو**":

– وهذا ما يناسب شخصاً ما .. بدرجة كبيرة! قال "**هيرن**" بنبرة تشكك:

– لا تعتقد أنها مخادعة يا سيدي؟

– هل تعتقد أنت ذلك؟

– لا. أنا واثق بأنها غير مخادعة. فهي طفلة ظريفة .. تبدو أصغر سنا من عمرها الحقيقي. قال "**بوارو**" وهو يهز رأسه:

– لا. ليست مخادعة. لكن يهمني أن أعرف كيف غادرت ذلك القطار. أريد أن أعرف من هو المسؤول، ولأي سبب؟

– أما عن السبب فأقول إنها كانت محاولة للاختطاف يا سيدي. كانوا يريدون احتجازها من أجل الحصول على فدية.

– ولكنهم لم يفعلوا ذلك!

– ربما يكونون قد فقدوا السيطرة على أعصابهم من جراء صيحات المطاردة التي أطلقتها الشرطة فوضعوها مسرعين على جانب الطريق. سأل "**بوارو**" بنبرة ارتياب:

– وأية فدية كان يمكنهم الحصول عليها من رجل دين بكاتدرائية

"**كرانشستر**"؟ أصحاب المقام الرفيع بالكنيسة الإنجليزية ليسوا في عداد أصحاب الملايين. قال مفتش المباحث "**هيرن**" بنبرة مرحة:

– رأيي أنهم تصرفوا بطريقة خرقاء.

– آه .. هذا هو رأيك. فقال "**هيرن**" وقد امتقع وجهه بدرجة طفيفة:

– وما هو رأيك أنت يا سيدي؟

– أريد أن أعرف بأية طريقة اختطفت من ذلك القطار. تحول وجه ضابط الشرطة إلى ملامح الحيرة:

– هذا لغز حقيقي. منذ دقيقة واحدة كانت هناك تجلس في عربة المطعم تتحدث مع البنات الأخريات وبعد ذلك بخمس دقائق تختفي .. بسرعة مذهلة.. بمثل حيلة الساحر.

– بالضبط بمثل حيلة ساحر! من أيضًا كان بعربة القطار حيث كانت المقصورات التي قامت الآنسة "**بوب**" بحجزها؟ أومأ المفتش "**هيرن**":

– هذه نقطة مهمة يا سيدي. ومهمة بصفة خاصة لأنها العربة الأخيرة بالقطار وبمجرد أن عاد جميع الناس من عربة المطعم أقفلت الأبواب الفاصلة بين العربات بهدف منع الركاب من التجمع في الممر المؤدي إلى عربة المطعم وطلب شاي قبل أن يتوفر لدى العمال الوقت الكافي لدفع ما على موائد الغداء والاستعداد للخدمات الأخرى. عادت "**ويني كينج**" إلى العربة مع الأخريات .. فقد كانت للمدرسة ثلاث مقصورات محجوزات مسبقًا.

– وفي المقصورة الأخرى بالعربة؟ أخرج "**هيني**" دفتر مذكرات صغير من جيبه ثم قال:

– الآنسة "**جوردان**" والآنسة "**بارتز**" .. امرأتان في منتصف العمر متوجهتان إلى "**سويسرا**". لا غبار عليهما. محترمتان ومعروفتان في "**هامبشير**" من حيث أتيتا. تاجران فرنسيان أحدهما من "**ليونز**" والآخر من "**باريس**".

وكلاهما شخصيتان محترمتان في منتصف العمر. شاب اسمه "**جيمز إليوت**" وزوجته .. الفاتنة. وهو سيئ السمعة. تشك الشرطة في تورطه في بعض عمليات موضع ارتياب .. ولكنه لم يتطرق إلى عمليات الاختطاف قط. على أية حال تم البحث في مقصورته ولم يوجد في الأمتعة التي كان يحملها معه أي شيء يشير إلى تورطه في هذا الموضوع. لا أرى كيف من الممكن أن تكون له يد فيه. والشخصية الوحيدة الأخرى هي سيدة أمريكية ... السيدة "**فان سويدر**" المسافرة إلى "**باريس**". لا معلومات عنها ولكنها تبدو بعيدة عن الموضوع. هذه هي المجموعة. قال "**هركيول بوارو**" :

– ومن المؤكد تماماً أن القطار لم يتوقف بعد مغادرته "**أمينز**" ؟

– تماماً. أبطأ السير مرة لكن ليس بالقدر الكافي الذي يسمح لأي إنسان بأن يقفز إلى خارجه .. دون أن يعرض نفسه للإصابات الخطيرة أو القتل. قال "**هركيول بوارو**" متمتماً:

– هذا ما يجعل المشكلة أكثر إثارة للاهتمام. تختفي الفتاة خارج "**أمينز**" تمامًا ثم تظهر فجأة خارج "**أمينز**" تمامًا أيضًا. أين كانت في تلك الأثناء؟ هز المفتش "**هيرن**" رأسه:

– أمر يدفع إلى الجنون. آه .. بهذه المناسبة .. أخبروني بأنك قد استفسرت عن وجود حذاء .. حذاء الفتاة. كانت ترتدي حذاءها عندما عثر عليها لكن كان هناك زوج حذاء على الشريط. عثر أحد رجال الإشارة عليه وحمله معه إلى بيته لأنه بدا بحالة جيدة. حذاء مشي أسود متين ذو رباط. قال "**بوارو**" وقد بدت عليه علامات الرضا:

– آه. فسأل المفتش "**هيرن**" بدافع الفضول:

– لا أفهم معنى للعثور على الحذاء يا سيدي. هل يعني شيئًا؟ فقال "**بوارو**" :

– إنه يؤكد نظرية. نظرية تتعلق بكيفية إتمام الحيلة السحرية.

- 4 -

كانت مؤسسة الآنسة "**بوب**" ، شأنها شأن الكثير من المؤسسات الأخرى العاملة في ذات المجال، تقع في "**نويلي**" . وقف "**هركيول**" "**بوارو**" يتطلع إلى الواجهة المحترمة عندما أحاط به فجأة فيض من الفتيات الخارجات من أبواب المؤسسة.

أحصى خمساً وعشرين منهن في زي واحد مؤلف من معطف وجونلة باللون الأزرق الداكن مع قبعة بريطانية تبدو غير مريحة الشكل من المخمل الأزرق الداكن فوق رؤوسهن، مثبت حولها شريط مميز للمؤسسة باللونين البنفسجي والذهبي. تراوحت أعمار الفتيات ما بين الأربعة عشر والثمانية عشر وطلعاتهن ما بين البدينة والنحيفة وبشرتهن ما بين السمراء والشقراء وبين الرشيقة والخاملة. وجاءت في النهاية مع إحدى الفتيات الأصغر سنًّا امرأة رمادية الشعر آمرة الملامح رأى "**بوارو**" أنها لابد أن تكون الآنسة "**برشو**" .

وقف "**بوارو**" ينظر خلفهن دقيقة ثم دق جرس الباب وسأل عن الآنسة "**بوب**" . كانت الآنسة "**لافينيا بوب**" مختلفة تماماً عن وكيلتها الآنسة "**برشو**" إذ كانت الآنسة "**بوب**" قوية الشخصية، فارضة الرهبة. حتى عندما تتبسط الآنسة "**بوب**" برشاقة مع آباء الطالبات فإنها تحتفظ بذلك الترفُّع الواضح عن بقية العالم، وهو ميزة قوية تتحلى بها ناظرة مؤسسة تعليمية. كان شعرها الأشيب مصففاً بطريقة متميزة وهندامها كان بسيطًا وأنيقًا. كانت مقتدرة وعالمة كلية بشؤون مؤسستها.

كانت الحجرة التي استقبلت فيها "**بوارو**" حجرة امرأة مثقفة. أثاث رشيق، زهور، بعض الصور الفوتوغرافية، الموقع عليها بداخل أطرها، لتلاميذ الآنسة "**بوب**" اللواتي أحرزن مناصب مرموقة في الحياة، وكثيرات منهن في ثياب

التخرج من المؤسسة. وكانت على الجدران نسخ طبق الأصل للروائع الفنية العالمية وعدد من اللوحات الأخرى. كانت الحجرة بالكامل نظيفة ولامعة إلى أقصى درجة بما يوحي بأن لا نقطة غبار تجرؤ على أن تتواجد في وسط هذا البريق. استقبلت الآنسة "**بوب**" "**بوارو**" بكفاءة من لا يخطئ الحكم إلا نادراً.

– السيد "**هركيول بوارو**"؟ أعرفك اسماً بالتأكيد. وأعتقد أنك قد أتيت بشأن واقعة "**ويني كينج**" المؤسفة. حادث محزن تماماً.

لم تبد الآنسة "**بوب**" حزينة. تعاملت مع الأحداث المؤسفة كما ينبغي، بالكفاءة الواجبة التي تهبط بها إلى لا شيء تقريباً. قالت الآنسة "**بوب**":

– لم يقع حادث كهذا من قبل. وبدت وكأنها تقول: "ولن يقع مرة أخرى".

قال "**هركيول بوارو**":

– كان هذا هو الفصل الدراسي الأول للفتاة هنا .. أليس كذلك؟

– نعم. كان كذلك.

– كان لك لقاء تمهيدي مع "**ويني**" .. ومع والديها؟

– ليس مؤخراً. منذ عامين. كنت أقيم في مكان قريب من "**كرانشستر**" .. مع الأسقف .. في الواقع ..

(بدا من أسلوب الآنسة "**بوب**" كأنها تقول أنا من نوعية الناس الذين يتعاملون مع أساقفة!).

– عندما كنت هناك تعرفت إلى القس "**كينج**" وزوجته. السيدة "**كينج**" مريضة. التقيت "**ويني**" آنذاك. فتاة جيدة التنشئة جداً ذات ذوق متميز للفنون. أخبرت السيدة "**كينج**" بأنه سيكون من دواعي سروري أن أستقبل الفتاة هنا في غضون عام أو عامين .. عندما تكون قد أكملت دراستها العامة. نتخصص هنا، يا سيد "**بوارو**"، في الفنون والموسيقى. نأخذ الفتيات إلى دار الأُبرا وإلى المسارح ونرتب لحضورهن المحاضرات في متحف "**اللوفر**". يأتي

أفضل الأساتذة إلى هنا ليعلموهن الموسيقى والغناء والرسم. هدفنا الثقافة الأوسع أفقًا. تذكرت الآنسة "**بوب**" فجأة أن "**بوارو**" ليس والد إحدى الفتيات فأضافت فجأة قولها:

– ما الذي يمكنني أن أفعله من أجلك يا سيد "**بوارو**"؟

– يسرني أن أعرف ما هو الوضع الحالي بالنسبة إلى "**ويني**".

– أتى القس "**كينج**" إلى "**أمينز**" ليأخذ "**ويني**" معه إلى بيته. أحكم تصرف من الممكن اتخاذه بعد الصدمة التي تعرضت لها الطفلة. توقفت قليلاً ثم استطردت تقول:

– لا نقبل المحتاجات إلى رعاية خاصة هنا. فليست لدينا الإمكانيات المتخصصة اللازمة لذلك. أخبرت القس بأنني أرى أنه من الأفضل أن يعيد ابنته إلى البيت معه. سأل "**هركيول بوارو**" ببساطة:

– ماذا، في رأيك، الذي حدث فعليًّا؟

– ليست لديَّ أدنى فكرة يا سيد "**بوارو**". الموضوع كله، كما أبلغت به، يبدو غير قابل لأن يصدَّق. ولا يمكنني أن ألوم المشرفة المكلفة باصطحاب الفتيات على ما حدث .. باستثناء أنه ربما كان بإمكانها أن تكتشف غياب الفتاة في وقت سابق. قال "**بوارو**":

– تلقيت زيارة من الشرطة .. ربما؟ اقشعر بدن الآنسة "**بوب**" الأرستقراطي بدرجة طفيفة قبل أن تقول بنبرة فاترة:

– أتى السيد "**لوفارج**" من مركز الشرطة لمقابلتي؛ ليرى ما إذا كان يمكنني إلقاء أي قدر من الضوء على الموقف. وكان من الطبيعي ألا يمكنني أن أفعل شيئًا. طلب بعد ذلك تفتيش حقيبة ملابس "**ويني**" التي كانت بطبيعة الحال قد وصلت إلى هنا مع حقائب الفتيات الأخريات. أخبرته بأن فردًا آخر من جهاز الشرطة قد طلب ذلك من قبل. لابد أن هناك ازدواجًا في عمل إدارات هذا

الجهاز. تلقيت بعد ذلك بقليل اتصالاً هاتفيًا أصر فيه المتحدث على أنني لم أطلعهم على كل متعلقات "ويني". كنت صارمة معهم جداً بشأن هذا الموضوع. لا ينبغي أن يخضع المرء لهذه النوعية من ممارسات المسؤولين. التقط "بوارو" نفساً عميقًا ثم قال:

– تتسم طبيعتك بالشجاعة والجرأة يا آنستي وأنا معجب بذلك. أفترض أن حقيبة ملابس "ويني" قد أفرغت من محتوياتها عند الوصول إلى هنا؟ بدا على الآنسة "بوب" قدر من الاضطراب. قالت:

– إنه إجراء روتيني. نحن شديدو الالتزام بالروتين. يتم إفراغ حقائب الفتيات فور وصولها ووضع محتوياتها في الأماكن التي أتوقع لها أن تكون فيها. تم إفراغ متعلقات "ويني" مع متعلقات الفتيات الأخريات. ومن الطبيعي أنه أعيد ترتيبها بالحقيبة كذي قبل بحيث تم تسليم الحقيبة بالحالة التي وصلت بها تمامًا. سأل "بوارو":

– تمامًا؟ تمشى إلى الجدار:

– من المؤكد أن هذه صورة لجسر "كرانشستر" والكاتدرائية ظاهرة بها من بعد.

– أنت محق تمامًا يا سيد "بوارو". واضح أن "ويني" قد رسمت هذه الصورة لتقدمها إليّ كمفاجأة. كانت بحقيبة ملابسها بداخل غلاف كتب عليه "إلى الآنسة "بوب" من "ويني"". لفتة رائعة من هذه الطفلة. قال "بوارو":

– آه! وما رأيك فيها .. كلوحة فنية؟

كان هو ذاته قد شاهد صوراً كثيرة لجسر "كرانشستر". فقد كان هذا موضوعا ممثلا دائمًا في الأكاديمية في كل عام .. على هيئة لوحة زيتية أحيانًا وبألوان الماء في أحيان أخرى. رآها جيدة الرسم بطريقة متوسطة الجودة أحيانًا وبدرجة مملة أحيانًا أخرى. ولكنه لم يكن قد رآها قط ممثلة بمثل هذه الطريقة

البدائية التي كانت عليها هذه اللوحة المعلقة على الجدار. كانت الآنسة "**بوب**" تبتسم مداعبة. قالت:

– ينبغي ألا يثبط الواحد منا همّة الفتيات يا سيد "**بوارو**". من المؤكد أن "**ويني**" سوف تلقى الحافز على إنتاج أفضل. قال "**بوارو**" متأملاً:

– ألم يكن من الطبيعي لها أن تختار الرسم بألوان الماء؟

– هذا صحيح. لم أعلم أنها تحاول الرسم بألوان الزيت. قال "**هركيول بوارو**":

– آه. أتسمحين لي يا آنستي؟ رفع اللوحة من على الجدار وحملها إلى النافذة. فحصها لحظة ثم رفع بصره قائلاً:

– سوف أطلب منك يا آنستي أن تعطيني هذه اللوحة.

– حسنا .. في الواقع يا سيد "**بوارو**" ..

– من غير الممكن أن تتظاهري بأنك شديدة التعلق بها. فهي لوحة منفرٌة.

– أتفق معك في أنها خالية من أية قيمة فنية. ولكنها من إنتاج إحدى الطالبات و ..

– أؤكد لك يا آنستي أنها صورة غير مناسبة ألبتة لأن تعلق بجدار حجرتك.

– لا أفهم لماذا تقول هذا يا سيد "**بوارو**".

– سأثبت لك ذلك في غضون لحظة واحدة. أخرج من جيبه قارورة صغيرة وقطعة إسفنج وبعض الخرق. قال:

– سأبدأ بأن أروي لك قصة قصيرة يا آنستي. إنها تشبه قصة البطة الصغيرة القبيحة التي تحولت إلى بجعة. كان يعمل بجد أثناء الكلام. عبقت رائحة التربنتينة جو الحجرة.

– ربما أنت لا تذهبين كثيراً لمشاهدة عروض الرّفْي [أعمال مسرحية تسخر من الأحداث الجارية]؟

–لا في الواقع فهي تبدو لي تافهة...

– تافهة نعم. ولكنها تثقيفية أحياناً. شاهدت ممثلة في أحد هذه العروض تغير شخصيتها بطريقة معجزية إلى أبعد الحدود. في أحد المشاهد كانت نجمة كباريه، متبرجة وبراقة وبعد عشر دقائق أصبحت طفلة هزيلة ناقصة النمو تعاني الزوائد الأنفية، ترتدي سترة رياضية قصيرة .. ثم بعد عشر دقائق أخرى ظهرت كغجرية مهلهلة الثياب تقرأ الطالع بجوار قافلة.

– هذا ممكن جداً، بلا شك، ولكنني لا أفهم ..

– لكنني أطلعك على الكيفية التي تمت بها ممارسة الحيلة السحرية بالقطار. تدخل "ويني" الطالبة" – ذات الضفيرتين الشقراوين والنظارة الطبية وتركيبة الأسنان المعدنية التي تشوه جمال وجهها – دورة المياه. ثم تخرج بعد ربع ساعة امرأة فاتنة .. طبقاً لوصف مفتش المباحث "هيرن". جورب حريري رائع، حذاء مرتفع الكعبين، معطف من فراء المينك يخفي معالم الزي المدرسي، قطعة من القطيفة النادرة، تعرف باسم القبعة، فوق شعرها المتموج .. ووجه .. آه نعم .. وجه. أحمر خدود ومساحيق وأحمر شفاه ومسكرا! ما هو الوجه الحقيقي لهذه الممثلة السريعة الإجراء في التغيير؟ ربما أن أحداً لا يعلم سوى الله وحده! ولكنك يا آنستي، كثيراً ما شاهدت كيف تتحول التلميذة بمثل المعجزة إلى الفتاة الأنيقة الشديدة الجاذبية التي تظهر في المجتمعات للمرة الأولى. فغرت الآنسة "**بوب**" فاها دهشة:

– هل تعني أن "**ويني كينج**" قد تنكرت كـ..

– ليست "**ويني كينج**" .. لا. "**ويني كينج**" اختطفت في الطريق عبر "**لندن**". حلت ممثلتنا السريعة التغيير محلها. لم تكن الآنسة "**برشو**" قد رأت "**ويني**" من قبل .. كيف كان لها أن تعرف أن التلميذة ذات الضفيرتين النحيلتين والصفيحة المعدنية حول أسنانها لم تكن هي "**ويني كينج**" إطلاقا؟

إلى هذا الحد .. لا بأس. لكن لم يكن من الممكن أن تجازف تلك الدخيلة بالوصول إلى هنا؛ لأنه سبق لك التعرف إلى "**ويني**" الحقيقية. لهذا تختفي "**ويني**" في دورة المياه لتخرج منها كزوجة لرجل يدعى "**جيمز إليوت**" الذي يشتمل جواز سفره على زوجته! الضفيرتان الشقراوان والنظارة والجورب القطني البسيط وصفيحة الأسنان ..كل هذا من الممكن إخفاؤه فوراً. الحذاء المتين والقبعة .. البريطانية غير القابلة للطي .. فلابد من التخلص منهما في مكان آخر .. لهذا تقذفان من النافذة. تحمل "**ويني**" الحقيقية بعد ذلك عبر القنال .. ولا أحد يبحث عن طفلة مريضة شبه مخدَّرة تحمل من "**إنجلترا**" إلى "**فرنسا**" .. وتم إخراجها من إحدى السيارات ووضعها بجوار الطريق الرئيسي بكل سهولة وهدوء. لو كان قد تم تخديرها منذ البداية باستعمال الأسكوبولامين فسوف تتذكر قدراً ضئيلاً جداً مما جرى. كانت الآنسة "**بوب**" تدقق النظر إلى "**بوارو**" طوال الوقت. سألت:

– لكن لماذا؟ وما هو السبب وراء هذه الإجراءات التنكرية التي لا معنى لها؟

فأجاب "**بوارو**" بنبرة حادة:

– أمتعة "**ويني**"! أراد هؤلاء الناس تهريب شيء ما من "**إنجلترا**" إلى "**فرنسا**" .. شيء يبحث عنه كل رجل في مصلحة الجمارك .. هو شيء مسروق في الواقع. لكن أي مكان هناك أكثر أمانا من حقيبة ملابس تلميذة؟ أنت مشهورة يا آنسة "**بوب**" ومؤسستك مشهورة عن جدارة. في محطة الشمال يتم تمرير حقائب جميع الفتيات الطالبات بالقسم الداخلي دفعة واحدة، فهي متوجهة إلى مدرسة الآنسة "**بوب**" الإنجليزية ذات الشهرة الواسعة! ثم بعد الاختطاف ما هو الإجراء الأكثر طبيعية من الإرسال في طلب حقيبة هذه الطفلة.. بزعم أن طالب الحقيبة مسؤول في جهاز الشرطة. ثم ابتسم "**هركيول بوارو**" مستطرداً:

– لكن .. من دواعي حسن الحظ أن روتين المدرسة يقضي بضرورة إفراغ الحقائب من محتوياتها فور الوصول .. وهدية لك من "**ويني**" .. ولكنها ليست ذات الهدية التي وضعتها "**ويني**" في الحقيبة في "**كرانشستر**". تقدم منها قائلاً:

– لقد أعطيتني هذه الصورة. انظري إليها الآن. لابد أن تعترفي بأنها ليست لائقة بمدرستك الرفيعة! ورفع اللوحة أمامها.

اختفى جسر "**كرنشستر**" تمامًا كما بفعل السحر، وحل محله مشهد كلاسيكي بألوان باهتة أنيقة قال "**بوارو**" بصوت خافت:

– "**مشدّ هيبوليتا**". يصور المشهد "**هيبوليتا**" وهي تعطي "**هرقل**" مشدّها. بريشة "**روبينز**". عمل فني عظيم.. ولكنه مع كل ذلك .. غير لائق بحجرة استقبالك.

تورد وجه الآنسة "**بوب**" خجلاً بقدر طفيف. كانت يد "**هيبوليتا**" على مشدّها .. لم تكن مرتدية شيئًا غيره... أما "**هرقل**" فكان له جلد أسد ملقى فوق أحد كتفيه. صور "**روبينز**" لحمًا شهوانيًا شديد الإغراء... قالت الآنسة "**بوب**" مستعيدة وضعيتها:

– عمل فني رائع... ومع ذلك .. كما قلت .. يتعين على المرء على الأقل أن يأخذ مشاعر الآباء في الاعتبار. يميل البعض إلى ضيق الأفق... إذا كنت تعرف ما أعنيه...

– 5 –

في اللحظة التي كان "**بوارو**" يغادر المنزل فيها حدث الهجوم العارم. وجد نفسه محاطا بل مختفيًا بداخل جمهور من الفتيات: البدينة والنحيلة...

السمراء والشقراء. قال متمتما:

- يا إلهي! هذا بحق هو الهجوم الأمازوني! كانت هناك فتاة شقراء طويلة القامة تصيح:

- لقد سمعنا الشائعة..

واقتربت الفتيات بقدر أكبر ليطوقن "بوارو" من جميع الجهات. أما هو فاختفى في موجة من أنوثة حديثة السن مفعمة بالحيوية والقوة. ارتفع خمسة وعشرون صوتًا متباين النبرات ولكنها كانت جميعًا تردد ذات العبارة الخطيرة:

- يا سيد "بوارو"، أرجوك أن تكتب اسمك في "أوتوجرافي"...

*****

القضية التاسعة

الراعي القاتل

شخصيات الرواية:

- المفتش "**هركيول بوارو**" : مخبر سري.
- الآنسة "**كرنابي**" (**أمي كرنابي**): عملت كمرافقة للعجائز كانت مجرمة في السابق وكشفها "**هركيول بوارو**" .
- الآنسة "**إميلين كليج**" : أرملة ثرية وصديقة للآنسة "**أمي كرنابي**" .
- الدكتور "**أندرسون**" : رجل وسيم يدعو إلى ديانة جديدة.
- السيد "**كول**" : أحد معتنقي الديانة الجديدة.
- السيد "**ليبسكومب**" : حارس المنتجع المقدس.
- "**جاب**" : رئيس مفتشي الشرطة.

- 1 -

- أعتذر بشدة يا سيد "**بوارو**" لفرض حضوري هكذا.

قبضت الآنسة" "**كرنابي**" على حقيبة يدها بكلتا يديها وانحنت نحو الأمام ناظرة إلى وجه "**بوارو**" بشغف. بدت لاهثة كعادتها. ارتفع حاجبا "**هركيول بوارو**". قالت بشغف:

- تتذكرني .. أليس كذلك؟ اتقدت عينا "**هركيول بوارو**". قال:

- أتذكرك كأحد المجرمين الناجحين تماماً الذين التقيت بهم طوال حياتي!

- آه. يا إلهي يا سيد "**بوارو**" هل ينبغي حقًا أن تقول لي هذا؟ كنت مشفقًا عليّ جداً. كثيراً ما نتحدث أنا و"**إميلي**" عنك وكلما رأينا شيئًا عنك في الصحف نقصه منها ونلصقه في كراسة خصصناها لذلك. أما عن "**أغسطس**" فقد علمناه شيئًا جديداً. نقول له مُت من أجل "**شرلوك هولمز**"، مُت من أجل السيد "**فورتشن**"، مت من أجل السيد "**هنري ميريفال**" ثم مت من أجل "**هركيول بوراو**" فيهبط إلى الأرض ويرقد مثل كتلة خشبية .. ويظل ساكناً تماماً بلا حراك حتى نقول له الكلمة السحرية. فقال "**بوارو**":

- أنا ممتن جداً. وكيف حال هذا العزيز "**أغسطس**"؟ تحدثت الآنسة "**كرنابي**" عن كلبها البكيني وامتدحته بطلاقة:

- آه يا سيد "**بوارو**" إنه أكثر ذكاء من أي وقت مضى. أصبح يعرف كل شيء. هل تعلم أنني كنت أبدي إعجابي بطفل في عربته .. منذ أيام .. وفجأة شعرت بشدة عنيفة فوجدت "**أغسطس**" يحاول بكل قوته أن يقطع مقوده بأسنانه. أليس هذا ذكاء؟ اتقدت عينا "**بوارو**". قال:

- يبدو لي أن "**أغسطس**" يشاركك هذه الميول الإجرامية التي كنا نتحدث عنها الآن! لم تضحك الآنسة "**كرنابي**" بل بدا وجهها الممتلئ الظريف مهموماً

وحزينًا. قالت بنوع من اللهاث:

– آه يا سيد "**بوارو**". أنا مهمومة جدًّا. فقال "**بوارو**" بنبرة مترفقة:

– ماذا هناك؟

– تعلم يا سيد "**بوارو**".. أنا خائفة.. خائفة جدًّا.. من أن أصبح عاتية في الإجرام.. إذا كان لي أن أستخدم هذا المصطلح. تراودني الأفكار طوال الوقت!

– أي نوع من الأفكار؟

– الأفكار الأكثر غرابة! أمس على سبيل المثال.. لاحت بذهني خطة بالغة العملية لسرقة أحد مكاتب البريد. لم أكن لأفكر في ذلك.. ولكن الفكرة أتت إليّ! وهناك وسيلة عبقرية أخرى لاجتناب سداد الرسوم الجمركية... أشعر بأنني مقتنعة.. تمام الاقتناع.. بأنها سوف تفلح. فقال "**بوارو**" بنبرة جافة:

– ربما تفلح. وهذا هو موطن الخطر في أفكارك.

– أثقلني هذا بالهموم يا سيد "**بوارو**". بعد أن نشأت وفقًا لمبادئ صارمة، مراودة مثل هذه الأفكار الشريرة.. الخارجة على القانون.. تزعجني بدرجة كبيرة. أعتقد أن هذا راجع إلى حد ما إلى توفر الكثير من أوقات الفراغ لديّ. تركت العمل لدى السيدة "**هوجين**" وأعمل حاليًّا لدى سيدة عجوز، أقرأ لها وأكتب لها رسائلها في كل يوم. أنتهي من كتابة الخطابات بسرعة وفي اللحظة التي أبدأ فيها القراءة تستغرق السيدة في النوم وأظل أنا جالسة في مكاني، خاملة الذهن.. وجميعنا يعرف كيف يستخدم الشيطان الكسالى. فقال "**بوارو**":

– تشا. تشا.

– قرأت مؤخرًا كتابًا.. كتابًا حديثًا جدًّا.. مترجمًا عن الألمانية. يلقي ضوءًا عظيم الأهمية على الميول الإجرامية. أوحى إليّ بأن المرء مطالب بأن يسامي دوافعه! ولهذا السبب أتيت إليك. فقال "**بوارو**":

– ثم؟

– كما ترى يا سيد "**بوارو**" أعتقد أنه ليس شرًّا بقدر ما هو توق إلى الانبهار! لسوء الحظ أنني عشت حياة محفوفة بالملل. حتى أنني أشعر في بعض الأحيان بأن حملة الكلاب البكينية كانت الفترة الوحيدة التي عشتها بحق طوال حياتي. أمر مفهوم بالتأكيد ولكن الكتاب الذي قرأته ينصح بألا يدير المرء ظهره إلى الحقيقة. أتيت إليك يا سيد "**بوارو**" لأن لي أملا في إمكانية أن أسمو بهذا التوق إلى الانبهار من خلال استخدامه أو الاستفادة به، إذا كان لي أن أتبدل إلى جانب الملائكة. قال "**بوارو**":

– آها! تقدمين نفسك كزميلة لي إذن؟ احمر وجه الآنسة "**كرنابي**".

– إنها وقاحة بالغة مني .. أعلم ذلك. ولكنك كنت رحيمًا بي جدًّا.. توقفت عن الكلام. لاح بعينيها الزرقاوين الباهتتين شيء أشبه بتوسل كلب يأمل راجيًا أن تصطحبه معك في نزهة. قال "**هركيول بوارو**" بنبرة متباطئة:

– إنها فكرة على أية حال. فقالت الآنسة "**كرنابي**":

– إنني لست ذكية ألبتة ولكن قدراتي الخداعية لا بأس بها. ولابد لها من أن تكون جيدة وإلا صرفت من وظيفتي كمرافقة فوراً. وكثيراً ما وجدت أن التظاهر بأنني أكثر غباءً من حقيقتي يعود عليّ بنتائج جيدة. ضحك "**هركيول بوارو**" ثم قال:

– إنك تفتنينني يا آنستي.

– كم أنت رجل طيب يا سيد "**بوارو**". تساعدني إذن على أن آمل؟ واقع الأمر أنني قد تلقيت مؤخراً هبة صغيرة .. صغيرة جداً ولكنها تساعدني أنا وشقيقتي على أن نعيش حياة اقتصادية بحيث لا أعتمد تمامًا على ما أكسبه. قال "**بوارو**":

– ينبغي أن أفكر في الطريقة التي يمكن بها استخدام مواهبك على أفضل

وجه. أليست لديك أية فكرة؟

– تعلم .. لابد أنك قارئ أفكار يا سيد "**بوارو**". إنني مهمومة وقلقة في الآونة الأخيرة على إحدى الصديقات. وكنت أريد أن أستشيرك بشأنها. من الوارد أن تقول إن الأمر لا يخرج عن كونه تخيلات امرأة مسنة .. وإنه مجرد تصوّر بسبب القلق على تلك السيدة. ربما الإنسان معرض للمبالغة ولأن يرى مؤامرة حيث لا يكون هناك سوى المصادفة وحدها.

– لا أعتقد أنك تميلين إلى المبالغة يا آنسة "**كرنابي**". أخبريني بما تفكرين فيه.

– حسنا .. لي صديقة، عزيزة جداً، وإن كنت لم أرها كثيراً في السنوات الأخيرة. اسمها "**إميلين كليج**". تزوجت رجلاً في شمال "**إنجلترا**" توفي منذ بضع سنوات تاركًا إياها في حالة معقولة من يسر العيش، شعرت بالتعاسة والوحدة بعد وفاته ويؤسفني أنها غبية في بعض النواحي وربما على استعداد لأن تصدق كل ما يقال. الدين يا سيد "**بوارو**" من الممكن أن يكون سنداً ومصدر عون .. ولكن ما أعنيه هو الدين الأرثوذكسي (القويم). قال "**بوارو**":

– تشيرين إلى الكنيسة اليونانية؟ بدت الآنسة "**كرنابي**" مذهولة:

– آه. لا. الكنيسة الإنجليزية. وعلى الرغم من أنني لا أحبذ الكاثوليك الرومان إلا أنه معترف بهم على الأقل. وكذلك الوسليون والإبرشانيون .. كل هؤلاء معروفون وطوائف محترمة. ما أتحدث عنه هو هذه الطوائف الغريبة. تنشأ فجأة وتكون لها جاذبية عاطفية لكن في بعض الأحيان تراودني شكوك عنيفة فيما إذا كان وراءها إحساس ديني حقيقي.

– هل تظنين أن صديقتك ضحية لمذهب من هذه النوعية؟

– نعم، وبكل تأكيد! يسمون أنفسهم رعية الراعي. مقرهم في "**ديفونشير**".. بقعة رائعة مطلة على البحر. يذهب الأتباع إلى هناك إلى

ما يقولون عنه إنه خلوة للرياضة الروحية. وهي فترة أسبوعين .. بخدمات وطقوس دينية. ولديهم ثلاثة أعياد في العام: حلول المرعى وملء المرعى وحصاد المرعى. فقال "**بوارو**":

– والأخير هو الحماقة لأن المرعى لا يحصد. فقالت الآنسة "**كرنابي**" بحماس:

–الموضوع كله حماقة. تتمركز الطائفة كلها حول رئيس الحركة الذي يسمونه الراعي العظيم. اسمه الدكتور "**أندرسون**" وهو رجل وسيم جداً في رأيي وذو حضور.

– وهو ما يجذب إليه النساء .. أليس كذلك؟ قالت الآنسة "**كرنابي**" متنهدة:

– وهذا هو الشيء المؤسف. كان والدي رجلاً وسيمًا جداً. وكان من الأمور الغريبة في الأبرشية في بعض الأحيان التنافس على القيام بالخدمات الكنسية.. هزت رأسها وهي تتذكر تلك الآونة.

– هل الغالبية العظمى من أعضاء الرعية العظيمة من النساء؟

– أعتقد أن ثلاثة أرباع العدد على الأقل من النساء. أما الرجال من الأعضاء فغالبيتهم من المهووسين! وعلى النساء يتوقف نجاح الحركة .. وعلى أموالهن. قال "**بوارو**":

– آه. لقد وصلنا بذلك إلى مربط الفرس. تظنين صراحة أن الموضوع كله احتيال؟

– هذا ما أظنه صراحة يا سيد "**بوارو**". وهناك أمر آخر يزعجني. حدث أنني علمت أن صديقتي المسكينة هذه مرتبطة بهذه الديانة كليًا بحيث حررت مؤخراً وصية تترك بموجبها جميع ممتلكاتها لهذه الحركة. قال "**بوارو**" بنبرة حادة:

– هل اقترح عليها ذلك؟

– حتى أكون عادلة .. لا. كانت هذه فكرتها كليًّا. فقد عرفها الراعي الصالح أسلوب حياة جديد .. وبناء على ذلك ينبغي أن يذهب كل مالها إلى هذه القضية العظيمة بعد وفاتها. ولكن الأمر الذي يزعجني بحق هو ..

– نعم. واصلي ..

– إن عدداً من النساء الثريات كن بين الأنصار المتحمسين لهذه الديانة وفي العام الماضي توفيت ثلاث منهن على الأقل.

– تاركات جميع أموالهن لهذه الطائفة؟

– نعم.

– ولم يعترض أي من أقاربهن؟ كنت أتوقع أن تكون هناك حالات مقاضاة.

– عادة ما تنتمي النساء الوحيدات إلى هذه الجماعة. اللواتي ليس لهن أقارب أو أصدقاء مقربين. أومأ "**بوارو**" مفكراً بينما أسرعت الآنسة "**كرنابي**" تقول:

– من المؤكد أنه لا يحق لي أن أوحي بأي شيء أبداً. فمما أمكنني التوصل إليه لم يكن هناك شيء غير طبيعي بشأن أي من هذه الوفيات. أعتقد أن سبب إحداها كان التهابًا رئويًّا على أثر إصابة بالإنفلونزا، وسبب الأخرى راجع إلى قرحة معدية. لم تكن هناك أية ظروف مثيرة للشك. إذا كنت تفهم ما أعنيه. كما أن حالات الوفاة لم تحدث في مقدس التلال الخضراء لكن في بيوت هؤلاء السيدات. لا أشك في أن الأمور على ما يرام .. لكن .. ومع ذلك .. لا أحب أن يصيب "**إميلين**" مكروه.

شبكت يديها بينما تطلعت عيناها إلى "**بوارو**". أما "**بوارو**" ذاته فصمت بضع دقائق. وعندما تكلم كان هناك تغيير في نبرة صوته التي تحولت إلى العمق والحدّة. قال:

– هل يمكنك أن تعطيني، أو أن تبحثي لي عن أسماء وعناوين عضوات هذه

الطائفة المتوفيات مؤخراً؟

– نعم. بكل تأكيد يا سيد "**بوارو**". قال "**بوارو**" بنبرة متباطئة:

– يا آنسة .. أظن أنك امرأة شجاعة جداً. تتمتعين بقدرات تكلُّفية في السلوك والكلام. هل تقبلين القيام بعمل ربما يكون محفوفاً بخطر جسيم؟ فقالت الآنسة "**كرنابي**" المغامرة:

– لا شيء أحب إلى نفسي من ذلك. وقال "**بوارو**" محذراً:

– في حالة وجود مخاطرة ستكون جسيمة. أتفهمين .. إما أن يكون هذا وهمًا وإما أن يكون وضعًا خطيراً. وحتى نعرف ماذا يكونه سيكون من الضروري أن تنضمي أنت ذاتك إلى عضوية الرعية العظيمة. وأود أن أقترح عليك أن تبالغي في مبلغ الهبة التي ورثتها مؤخراً. أنت الآن امرأة ميسورة الحال بلا هدف محدد في الحياة. تناقشي مع صديقتك "**إميلين**" بشأن هذه الديانة التي اعتنقتها .. أكدي لها أنها مجرد هراء. ستجدين لديها شغفاً لأن تضمك إلى الطائفة. اسمحي لنفسك بأن تقتنعي بالذهاب إلى مقدس التلال الخضراء. وهناك تقعين ضحية لقوى إغراء الدكتور "**أندرسون**" وتأثيره المغنطيسي. هل لي أن أطمئن إلى أن أترك هذه الجزئية لك؟ ابتسمت الآنسة "**كرنابي**" بتواضع ثم قالت متمتمة:

– أعتقد أنه يمكنني أن أتدبر هذا الأمر على خير وجه.

– 2 –

– حسنا يا صديقي، ماذا لديك من أجلي؟ نظر "**جاب**" رئيس المفتشين مفكراً إلى الرجل القصير القامة الذي طرح هذا السؤال. قال عابثا:

– ليس ما أحب أن يكون لديّ يا "**بوارو**". إنني أمقت هؤلاء المجاذيب

الدينيين الطويلي الشعور قدر مقتي للسم. يقنعون النساء بأفكار واهية. ولكن هذا الرجل شديد الحذر. لا شيء يمكن إدانته به. يبدو كل شيء محفوفًا بقدر من العته لكن لا ضرر منه.

– هل استقيت شيئًا عن هذا الدكتور "**أندرسون**" ؟

– ألقيت نظرة إلى تاريخه الماضي. كان كيميائيًّا واعدًا وطرد من إحدى الجامعات الألمانية. يبدو أن والدته يهودية. كان مهتمًّا دائمًا بدراسة الديانات والأساطير الشرقية. وكان يقضي جميع أوقات فراغه في هذه الدراسات كما كتب عدة مقالات عن الموضوع .. يبدو بعضها لي ضربًا من الجنون.

– من الممكن إذن أن يكون متعصبًا حقيقيًّا؟

– أنا ملزم بأن أقول إن هذا محتمل جدًّا!

– وماذا عن تلك الأسماء والعناوين التي أعطيتك إياها؟

– لا شيء بشأنها. الآنسة "**إفريت**" توفيت بالتهاب قولوني قَرْحي. والطبيب واثق بعدم وجود أي شبهة جنائية. والسيدة "**لويد**" توفيت بالتهاب رئوي شُعبي. والسيدة "**وستيرن**" توفيت بداء الدرن. عانت منه طويلاً .. حتى قبل أن تلتقي بهذه الجماعة. والآنسة "**لي**" توفيت بالتيفود .. وأعزيت إصابتها به إلى تناولها سلطة بمكان ما في شمال "**إنجلترا**". مرضت ثلاث منهن وتوفين في بيوتهن وتوفيت الآنسة "**لويد**" بأحد الفنادق بجنوب "**فرنسا**". وفيما يتصل بهذه الوفيات ليس ثمة ما يربطها بالرعية العظيمة أو بمقر "**أندرسون**" في "**ديفونشير**". لابد أنها مصادفة بحتة. كل شيء طبيعي وبشهادة الأطباء. تنهد "**هركيول بوارو**" قائلاً:

– ومع ذلك، يا عزيزي، يراودني إحساس بأن هذا الموضوع هو قضية "**هرقل**" التاسعة وأن الدكتور "**أندرسون**" هذا هو السيد "**جيريون**" الذي أنا مكلف بتدميره. رمقه "**جاب**" بنظرات الفضول:

– اسمعني يا "**بوارو**" . هل قرأت أعمالاً أدبية غريبة في الآونة الأخيرة؟ فقال "**بوارو**" بكبرياء:

– ملاحظاتي دائماً ذكية وصحيحة وفي صميم الموضوع. فقال "**جاب**" :

– ربما تبدأ أنت ذاتك ديانة جديدة قوامها: " لا أحد في مثل ذكاء "**هركيول بوارو**" آمين" .

– 3 –

قالت الآنسة "**كرنابي**" بلهاث وانفعال:

– إنه السلام هنا الذي أرى أنه رائع. فقالت "**إميلين كليج**" :

– هذا ما قلته لك يا "**أمي**" .

كانت الصديقتان جالستين فوق منحدر أحد التلال وكان مطلاً على بحر عميق أزرق بالغ الجمال. كان العشب باللون الأخضر الزاهي والتربة والصخور بلون أحمر داكن براق. وكانت البقعة الصغيرة التي أصبحت تعرف باسم مقدس التلال الخضراء تضم حوالي ستة أفدنة. لم يصلها بالبر الرئيسي سوى لسان أرضي بحيث كادت تكون جزيرة. قالت السيدة "**كليج**" متمتمة بعمق مشاعر:

– الأرض الحمراء .. أرض الوهج والموعد .. حيث تتم مقدرات ثلاثية. تنهدت الآنسة "**كرنابي**" بعمق وقالت:

– ظننت أن السيد أوضح كل هذا بأسلوب جميل في الخدمة في الليلة الماضية. فقالت صديقتها:

– انتظري، من أجل العيد في هذه الليلة. اكتمال نمو المرعى! قالت الآنسة "**كرنابي**" :

– إنني أتطلع إليه. فقالت الصديقة بنبرة واعدة:

– ستجدين أنها تجربة روحية رائعة.

كانت الآنسة "**كرنابي**" قد وصلت إلى مقدس التلال الخضراء قبل ذلك بأسبوع. كان موقفها لدى وصولها هو: ما كل هذا الهراء؟ حقيقة يا "**إميلين**" امرأة عاقلة مثلك .. إلخ .. إلخ. وفي لقاء مبدئي مع الدكتور "**أندرسون**" كانت قد أوضحت موقفها بضمير خالص وجلاء:

– لا أريد أن أشعر بأنني هنا تحت مظاهر زائفة يا دكتور "**أندرسون**". كان والدي قسًّا بكنيسة "**إنجلترا**" ولم أتذبذب في إيماني قط. لا علاقة لي بالعقائد الوثنية. ابتسم لها الرجل القوي البنية الذهبي الشعر عندئذ .. ابتسامة عذبة مقدرة. كان قد تأمل باهتمام ذلك الشكل البشري الممتلئ الشكس الجالس بشجاعة فوق المقعد. قال:

– يا عزيزتي الآنسة "**كرنابي**"، أنت صديقة السيدة "**كليج**" ونرحب بك بهذه الصفة. وصدقيني إن معتقداتنا ليست وثنية. نرحب هنا بجميع الديانات ونحترمها على قدم المساواة. قالت ابنة رجل الدين الراحل "**توماس كرنابي**":

– لا ينبغي ذلك إذن. استند السيد إلى الخلف فوق مقعده وقال متمتمًا بصوته العميق:

– "في بيت أبي منازل كثيرة..." تذكري هذا يا آنسة "**كرنابي**". قالت "**كرنابي**" لصديقتها عقب هذا اللقاء:

– إنه رجل وسيم جدًّا. فقالت "**إميلين كليج**":

– نعم. وروحاني بدرجة كبيرة.

وافقتها "**كرنابي**" على ذلك وخاصة أنها كانت قد شعرت بهالة من اللادنيوية.. من الروحانية. أحكمت السيطرة على مشاعرها. هي ليست هنا لتقع فريسة للافتتان الروحي أو غير ذلك، الذي يمارسه الراعي العظيم، تمكنت من استحضار رؤية لـ"**هركيول بوارو**". بدا بعيدًا عنها جدًّا ودنيويًّا بدرجة

غريبة... قالت الآنسة "**كرنابي**" مخاطبة ذاتها:

– "**أمي**"، سيطري على ذاتك. تذكري ما أنت هنا من أجله... لكن بمرور الأيام تبينت أنها تخضع بسهولة تامة لسحر التلال الخضراء. الهدوء والبساطة والطعام اللذيذ رغم بساطته وجمال خدمات الصلاة مع تراتيل المحبة والعبادة وكلمات السيد البسيطة المؤثرة التي تناشد كل ما هو أفضل وأسمى في البشرية.. هنا معزل عن صراعات العالم وقباحته. ليس هنا سوى السلام والمحبة... وفي هذه الليلة سيكون عيد الصيف العظيم عيد ملء المرعى. وفيه سيتم إدخالها هي.. "**أمي كرنابي**" في عضوية هذه الجماعة .. لتصبح فرداً في الرعية.

كان العيد في البناء الأسمنتي الأبيض البراق الذي يطلق عليه أفراد الرعية اسم الحظيرة المقدسة. اجتمع المؤمنون فيه قبل غروب الشمس. ارتدوا عباءات من جلد الغنم وصنادل بأقدامهم. وكانت أذرعهم عارية. وفي وسط الحظيرة وقف الدكتور "**أندرسون**" فوق منصة مرتفعة. لم يبد هذا الرجل الضخم، ذو الشعر الذهبي والعينين الزرقاوين واللحية الشقراء والمظهر الوسيم، على مثل هذا القدر من الإجبار قط. ارتدى عباءة خضراء وأمسك بعصا رعاية من ذهب. رفعها عالياً فخيم صمت الموت على المجتمعين.

– أين خرافي؟ وجاءت الإجابة من الجمع:

– نحن هنا أيها الراعي.

– ارفعوا قلوبكم بفرح وحمد. هذا هو عيد الفرح.

– عيد الفرح ونحن فرحون.

– لن يكون هناك حزن لكم بعد اليوم، ولا ألم. الكل فرح!

– الكل فرح...

– كم عدد رؤوس المراعي؟

– ثلاثة رؤوس. رأس من ذهب ورأس من فضة ورأس من نحاس طنّان.

– وكم عدد أجساد الخراف؟

– ثلاثة أجساد. جسد من لحم وجسد من فساد وجسد من نور.

– وكيف ستثبتون في الرعية؟

– بسرّ الدم المقدس.

– هل أنتم مستعدون لذلك السر المقدس؟

– نعم. مستعدون.

– أعصبوا عيونكم ومدوا أذرعكم اليمنى.

بكل طاعة عصب الجمع عيونهم بالشملات الخضراء التي زودوا بها لهذا الغرض. مدت الآنسة "**كرنابي**" كغيرها ذراعها أمامها. سار الراعي العظيم بين صفوف رعيته. سمعت أصوات صرخات وأنات خافتة بسبب الألم وإما نشوة. حدثت الآنسة "**كرنابي**" نفسها قائلة:

– كُفْر بيِّن كل هذا! إنها هستيريا دينية يرثى لها. سوف أظل هادئة تمامًا وألحظ ردود فعل الآخرين. لن أجرف .. لا لن أجرف... كان الراعي العظيم قد بلغها. أحست بذراعها يمسك به ويرفع ثم بألم وخز حاد مثل وخز إبرة. تمتم صوت الراعي قائلاً:

– سر الدم المقدس الذي يجلب الفرح... ثم واصل السير. ثم جاء أمر:

– حلوا العصائب واستمتعوا بمسرات الروح!

كانت الشمس قد بدأت تغرب. نظرت الآنسة "**كرنابي**" حولها. غادرت الحظيرة بحركة بطيئة مع الآخرين. أحست فجأة بانتعاش .. بسعادة. هبطت فوق بقعة ناعمة غزيرة العشب. لماذا كانت تظن أنها امرأة مسنة غير مرغوبة ووحيدة؟ الحياة مدهشة .. وهي ذاتها رائعة! لديها ملكة التفكير .. والأحلام. لا شيء هناك لا يمكنها إنجازه!

سرت بداخلها موجة عاتية من الابتهاج. نظرت إلى رفاقها من المؤمنين .. بدوا وكأنهم قد نموا فجأة إلى قامات عملاقة. قالت الآنسة "**كرنابي**" محدثة نفسها بوقار:

– أشبه بأشجار تسير على أقدامها...

رفعت إحدى يديها. كانت تلك حركة مقصودة .. يمكنها بها أن تأمر العالم. "**قيصر**" و"**نابليون**" و"**هتلر**" .. أقزام بؤساء! لم يعرفوا شيئًا عما يمكنها هي، "**أمي كرنابي**"، أن تفعله! سوف ترتب غداً لسلام عالمي .. لأخوية دولية. لا ينبغي أن تكون حروب بعد الآن .. ولا فقر .. ولا أمراض. سوف تصمم هي، "**أمي كرنابي**"، عالمًا جديداً.

لكن لا داعي إلى التسرع. فالزمن بغير حدود... تتبع دقيقة أخرى وساعة أخرى سابقة! أحست الآنسة "**كرنابي**" بتثاقل أطرافها ولكن ذهنها كان متحرراً بدرجة ممتعة، يمكنه أن يطوف بالكون بأسره وبالطريقة التي تتراءى له. استسلمت للنوم .. لكن حتى وهي نائمة كانت تحلم... فراغات عملاقة... أبنية فسيحة... عالم رائع جديد... انكمش العالم بالتدريج .. تثاءبت الآنسة "**كرنابي**". حركت أطرافها المتيبسة. ما الذي حدث منذ الأمس؟ كانت قد حلمت في الليلة الماضية...

طلع القمر. تمكنت الآنسة "**كرنابي**" في ضوئه أن تميز الأرقام بساعة يدها بصعوبة. كانت تشير إلى العاشرة إلا ربعاً. كانت الشمس قد غربت في الثامنة وعشر دقائق حسب علمها. منذ ساعة وخمس وثلاثين دقيقة فقط؟ مستحيل. ومع ذلك.. قالت الآنسة "**كرنابي**" محدثة نفسها:

– أمر جدير بالملاحظة.

- 4 -

قال "**هركيول بوارو**" :

– يجب أن تطيعي تعليماتي بكل دقة. أتفهمين؟

– آه. نعم يا سيد "**بوارو**" . يمكنك الاعتماد عليّ.

– هل تحدثت عن اعتزامك إفادة الجماعة؟

– نعم يا سيد "**بوارو**" . تحدثت مع السيد .. معذرة، مع الدكتور "**أندرسون**" بنفسي. أخبرته بما ينبغي من حرارة المشاعر كم كان كل هذا كشفًا عن أمور روحانية رائعة .. وكيف أنني قد ذهبت إلى هناك لأسخر وبقيت لأؤمن. في الواقع إنه قد بدا طبيعيًّا جداً أن أقول هذه الأشياء .. فالدكتور "**أندرسون**" يتمتع بقدر كبير من سحر الجاذبية. فقال "**بوارو**" بنبرة جافة:

– هكذا أرى.

– كان أسلوبه مقنعًا تمامًا بما يجعل المرء يشعر بأن لا اهتمام يذكر له بالمال. قال بأسلوبه الرائع ذلك: "أعطي ما يمكنك. وإذا لم يمكنك أن تعطي فلا بأس. فأنت فرد في الرعية تحت أي ظرف" . قلت له: لست معدمة إلى الحد الذي تعتقده. فقد ورثت مؤخراً مبلغًا كبيراً من قريب لي وعلى الرغم من أنه لا يمكنني التصرف في أي قدر منه إلى حين الانتهاء من الإجراءات القانونية الواجبة إلا أن هناك شيئًا واحداً أريد أن أفعله فوراً. ثم أخبرته بأنني بصدد كتابة وصيتي وبأنني أعتزم أن أوصي بكل مالي لهذه الأخوية. وأخبرته بأنه ليس لي أقارب أو أشخاص مقربين.

– وقبل الإرث بالوصية بلباقة؟

– لم يكن متحمسًا تمامًا بشأنه. قال إنني سأعيش طويلاً وإنه يرى أنني قد جبلت لعمر طويل من الفرح والامتلاء الروحي. حديثه مؤثر جداً.

– لابد له من أن يبدو هكذا. كانت نبرة "**بوارو**" جافة. استطرد قائلاً:

– هل ذكرت له حالتك الصحية؟

– نعم يا سيد "**بوارو**". أخبرته بأنني أعاني متاعب بالرئتين. وأن المرض عاودني أكثر من مرة واحدة وأن علاجًا تلقيته في النهاية بإحدى المصحات منذ سنوات قد قضى على المرض تمامًا كما آمل.

– ممتاز!

– وإن كنت لا أرى لماذا كان ضروريًا أن أخبره بأنني مصابة بالسل بينما رئتاي سليمتان تمامًا.

– تأكدي أن هذا ضروري. وهل تحدثت عن صديقتك؟

– نعم. أخبرته (في سرية تامة) بأن "**إميلين**" صديقتي العزيزة، إضافة إلى الثروة التي ورثتها عن زوجها سوف ترث عما قريب جدًّا مبلغًا أكبر بكثير من عمة لها تربطها بها علاقة وثيقة.

– حسنًا. هذا من شأنه أن يؤمن حياة السيدة "**كليج**" حاليًّا.

– آه. يا سيد "**بوارو**". هل تظن أن هناك أي شيء غير صحيح بحق؟

– هذا ما سوف أحاول الكشف عنه. هل التقيت برجل اسمه السيد "**كول**" في ذلك المقدس؟

– كان هناك رجل يدعى "**كول**" هناك في المرة الأخيرة التي ذهبت فيها إلى هناك. رجل غاية في الغرابة. يرتدي بنطلونًا قصيرًا باللون الأخضر الزرعي ولا يأكل شيئًا غير الملفوف (الكرنب). وهو مؤمن غيور جدًّا.

– حسنا. كل شيء يجري على خير ما يرام. وأهنئك على العمل الذي أنجزته.. أصبح كل شيء معدًّا الآن لاستقبال الاحتفال بعيد الخريف.

- 5 -

– يا آنسة "**كرنابي**" .. لحظة من فضلك. أمسك السيد "**كول**" بالآنسة "**كرنابي**" وكانت عيناه لامعتين محمومتين:

– رأيت رؤيا .. ممتازة جداً. لابد أن أخبرك بها.

تنهدت الآنسة "**كرنابي**". كانت شبه متخوفة من السيد "**كول**" ومن رؤاه. مرت بها لحظات قررت فيها أن "**كول**" مجنون.

كما وجدت رؤاه هذه مخجلة في بعض الأحيان. كانت تذكرها بنصوص صريحة معينة كانت قد قرأتها في ذلك الكتاب الألماني الحديث، عن العقل الباطن، الذي كانت قد قرأته قبل مجيئها إلى "**ديفون**". بدأ "**كول**" يتحدث بانفعال وقد بدأت شفتاه تتلويان وعيناه تلمعان:

– كنت أتأمل .. أفكر في ملء الحياة وفي فرح التوحُّد العظيم .. ثم .. فتحت عيناي ورأيت ..

تمالكت الآنسة "**كرنابي**" أعصابها وأملت ألا يكون ما رآه السيد "**كول**" هو ما قد رآه في المرة السابقة .. الذي بدا وكأنه زواج طقسي في "**سوميريا**" القديمة بين إله وإلهة. انحنى "**كول**" نحوها متثاقل الأنفاس والجنون بادٍ في عينيه ليقول:

– رأيت .. "**إيليا**" النبي نازلاً من السماء في مركبته النارية.

تنفست الآنسة "**كرنابي**" الصعداء. "**إيليا**" أفضل بكثير ولا يزعجها أن تسمع عنه. إلا أن "**كول**" استطرد قائلاً:

– ومن أسفل كانت مذابح البصل .. مئات ومئات منها. صاح صوت قائلاً لي: انظر واكتب واشهد بكل ما سوف ترى .. توقف عن الكلام وتمتمت الآنسة "**كرنابي**" بأدب قائلة:

– ثم؟

– على المذابح كانت الضحايا، مقيدة هناك، عاجزة عن الحركة في انتظار السكين. عذارى .. مئات العذارى .. عذارى عرايا جميلات صغيرات السن.. تلمَّظ السيد "**كول**" وخجلت الآنسة "**كرنابي**".

– ثم جاءت الغربان... غربان "**أودين**" طيرانا من الشمال. التقت بغربان "**إيليا**" .. وحامت جميعها في الجو .. ثم انقضت واقتلعت أعين العذارى .. وكان هناك بكاء وصرير أسنان .. وصاح الصوت: انظر ذبيحة .. لأنه في هذا اليوم سوف يوقع "**يهوه**" و"**أودين**" على أخوية دماء! ثم وقع الكهنة على ضحاياهم ورفعوا سكاكينهم .. وشوهوا ضحاياهم .. استطاعت الآنسة "**كرنابي**" بكل مشقة الابتعاد عن معذّبها الذي كان اللعاب يسيل من فمه بنوع من الحماس السادي. قالت:

– اسمح لي بلحظة واحدة.

ثم توجهت مسرعة إلى "**ليبسكومب**" الرجل الذي يشغل المنتجع الذي يسمح بدخول "التلال الخضراء" والذي تصادف مروره بترتيب إلهي في تلك اللحظة. قالت:

– إنني أتساءل عما إذا كنت قد عثرت على دبوس زينة خاص بي. لابد أن يكون قد سقط مني في مكان ما هنا.

اكتفى "**ليبسكومب**"، وكان محصناً ضد الحلاوة والنور اللذين عمّا "التلال الخضراء"، بأن زمجر بقوله إنه لم يعثر على أي دبوس، وإنه ليس من اختصاصه البحث عن الأشياء. حاول التخلص من الآنسة "**كرنابي**" ولكنها ظلت تسير معه، متحدثة عن دبوسها الزيني، حتى ابتعدت بمسافة معقولة عن السيد "**كول**" وحماسه المقزز.

في تلك اللحظة خرج السيد ذاته من الحظيرة العظيمة، وغامرت الآنسة

"**كرنابي**" بأن تحدثه برأيها صراحة، وقد شجعتها ابتسامته العذبة على ذلك. هل يرى أن السيد "**كول**" في مرحلة متأخرة من .. من.. وضع السيد على كتفها يداً ثم قال:

– ينبغي أن تطرحي عنك المخاوف. الحب الحقيقي يبدد المخاوف...

– ولكنني أعتقد أن السيد "**كول**" مجنون. تلك الرؤى التي يحلم بها .. فقال السيد:

– ومع ذلك يرى بغير وضوح... من خلال زجاج طبيعته الجسدية. لكن سيأتي اليوم الذي يرى فيه روحيًا .. وجها لوجه. صعقت الآنسة "**كرنابي**". وإذ خذلت على هذا النحو حاولت أن تقدم اعتراضاً أقل وقعاً. قالت:

– هل هناك ضرورة ملحة لأن يكون السيد "**ليبسكومب**" على هذا القدر المنفّر من الصفاقة؟ ومرة أخرى ارتسمت على وجه السيد تلك الابتسامة الملائكية. قال:

– "**ليبسكومب**" حارس أمين. هو نفس بدائية .. خام .. ولكنه وفي .. وفي تماماً.

واصل السيد السير ورأته الآنسة "**كرنابي**" يلتقي بالسيد "**كول**" ويتوقف ويضع يداً على كتف السيد "**كول**". أملت أن يغير تأثير السيد مجال الرؤى المستقبلة. وعلى أية حال لم يبق الآن سوى أسبوع واحد على موعد عيد الخريف.

– 6 –

قابلت الآنسة "**كرنابي**" "**هركيول بوارو**" بعد ظهر اليوم السابق على الاحتفال بالعيد في مقهى صغير في بلدة "**نيوتن وودبري**" الهادئة وكانت

الآنسة "**كرنابي**" أكثر تورد وجه ولهاثًا من المعتاد. جلست تشرب الشاي وتفتت كعكة صغيرة بأصابعها. طرح "**بوارو**" عليها عدداً من الأسئلة أجابت عنها باقتضاب. سألها بعد ذلك:

– كم عدد الذين سيتواجدون بالاحتفال؟

– أعتقد أنهم مائة وعشرون. ستكون "**إميلين**" هناك بالتأكيد. والسيد "**كول**" .. يتصرف بغرابة شديدة في الآونة الأخيرة. يرى رؤى. وصف لي بعضها .. غريبة جداً .. آمل .. آمل بحق ألا يكون فاقد الصواب. ثم إنه سيكون هناك عدد كبير من الأعضاء الجدد .. حوالي العشرين.

– حسنًا. تعرفين ما ينبغي أن تفعليه؟ كانت هناك لحظة توقف عن الكلام قبل أن تنفجر الآنسة "**كرنابي**" قائلة بصوت غريب:

– أعلم ما قلته لي يا سيد "**بوارو**"...

– حسنًا جداًّ. ثم قالت "**كرنابي**" بوضوح لا لبس فيه:

– ولكنني لن أفعل ذلك. دقق "**هركيول بوارو**" النظر إليها دهشًا. ولكن الآنسة "**كرنابي**" نهضت على قدميها وتحدثت بنبرة هستيرية سريعة:

– لقد بعثت بي إلى هناك لأتجسس على الدكتور "**أندرسون**". اتهمته بجميع أنواع الاتهامات. ولكنه رجل رائع .. معلم عظيم. أؤمن به قلبًا وروحًا! ولن أقوم بأعمال التجسس بعد الآن يا سيد "**بوراو**". أنا واحدة من خراف الراعي. لدى السيد طريق جديد للعالم ومن الآن فصاعداً أنا أنتمي إليه قلبًا وقالبًا. وسوف أدفع ثمن قدح الشاي من فضلك.

وإذ قالت الآنسة "**كرنابي**" ذلك تركت فوق المائدة المبلغ المعني وأسرعت إلى خارج المقهى. قال "**هركيول بوارو**" محدثًا نفسه بذهول:

– ما الذي جرى؟

حدثته النادلة مرتين قبل أن يفطن إلى أنها تقدم له فاتورة الحساب. التقت

نظرته بعيني رجل فظ المظهر بالمائدة القريبة من مائدته كان يتطلع إليه باهتمام. تورد وجهه ودفع الحساب وانصرف. كان منخرطًا في تفكير غاضب.

– 7 –

اجتمعت الخراف مرة أخرى في الحظيرة العظيمة. وتم ترنيم الأسئلة والإجابات الشعائرية.

– هل أنتم مستعدون للسر المقدس؟

– نعم. مستعدون.

– أعصبوا عيونكم ومدّوا أذرعكم اليمنى.

تمشى الراعي العظيم في ردائه الأخضر الرائع بين الصفوف المنتظرة. أطلق السيد "**كول**" الواقف بجانب الآنسة "**كرنابي**" صيحة نشوة مؤلمة عندما اخترقت الإبرة لحمه. وقف الراعي العظيم بجانب الآنسة "**كرنابي**" ولمست يداه ذراعها ..

– لا. لن تفعل. لا شيء من هذا...

كلمات لا تصدق .. غير مسبوقة. شجار وصيحات غضب. والعصائب الخضراء تسقط عن العيون لترى مشهداً لا يصدق .. الراعي العظيم يصارع قبضة السيد "**كول**" في لباسه المصنوع من جلد الغنم، بمساعدة مؤمن آخر. كان السيد "**كول**" سابقًا يقول بنبرة مهنية سريعة:

– ومعي هنا أمر بالقبض عليك. أحذرك من أن أي شيء تتفوه به من الممكن أن يستخدم دليلاً عند محاكمتك.

ظهر الآن بباب حظيرة الخراف أشخاص آخرون .. يرتدون الزي الأزرق. صاح أحد الحاضرين:

– إنهم الشرطة. يأخذون السيد معهم. إنهم يأخذون السيد...

صدم الجميع .. وجزعوا... اعتبروا الراعي العظيم شهيداً. يعاني، كما يعاني جميع المعلمين العظام، جهل العالم الخارجي واضطهاده لهم... كان مفتش المباحث في تلك الأثناء يحرّز المحقنة التحجلدية التي كانت قد سقطت من يد الراعي العظيم.

- 8 -

صافح "**بوارو**" الآنسة "**كرنابي**" بحرارة مقدمًا إياها إلى "**جاب**" رئيس المفتشين:

– زميلتي الشجاعة! فقال رئيس المفتشين "**جاب**":

– أداء من الدرجة الأولى يا آنسة "**كرنابي**". ما كنا لنتوصل إلى ما أنجزناه دونك. وهذا واقع. أحست الآنسة "**كرنابي**" بعظم المجاملة:

– يا إلهي. جميل منكما أن تقولا هذا. وربما تعلمان أنني قد استمتعت بهذا العمل بالكامل. الإثارة، والقيام بالدور الذي كلفت به. اندمجت في الموضوع تماما في أحيان كثيرة، حتى أنني كنت أشعر بأنني واحدة من هؤلاء النساء الحمقاوات. فقال "**جاب**":

– هذا مكمن نجاح مهمتك. كنت أداة أصيلة. لا شيء أقل من هذا كان من الممكن أن يوقع بهذا الرجل! إنه مجرم بالغ الذكاء. التفتت الآنسة "**كرنابي**" نحو "**بوارو**" قائلة:

– كانت تلك لحظة بشعة بالمقهى. لم أعرف كيف أتصرف. اضطررت إلى التصرف وفقًا لما اقتضته الظروف. فقال "**بوارو**" بنبرة دافئة:

– كنت رائعة. مدى لحظة ظننت أنه إما أنت وإما أنا تخلينا عن صوابنا.

ظننت مدى دقيقة واحدة أنك كنت تعنين ما قلته. فقالت الآنسة "**كرنابي**" :

– تلقيت صدمة عنيفة. في اللحظة التي كنا نتحدث فيها عن خطتنا رأيت في المرآة ذلك الرجل "**ليبسكومب**" الذي يتولى حراسة منتجع المقدس، جالساً إلى المائدة التي خلفي .. لا أعلم حتى الآن ما إذا كانت تلك مصادفة أم أنه كان يتابعني فعليًا. وكما قلت، كان لزامًا عليّ أن أفعل أفضل ما تمليه عليّ تلك اللحظة؛ ثقة مني بأنك سوف تتفهم الظروف. ابتسم "**بوارو**" :

– وقد فهمتها. فلم يكن هناك سوى شخص واحد جالس من قرب يكفي لأن يسمع أي شيء نقوله. وبمجرد أن غادرت المقهى رتبت لأن يتبعه أحد عند مغادرته المكان. وعندما عاد إلى المقدس رأسًا فهمت أنه يمكنني الاعتماد عليك وأنك لن تخذليني .. ولكنني كنت خائفًا لأن هذا من شأنه أن يفاقم الخطر عليك.

– هل كان هناك خطر حقًّا؟ ما الذي كان بالمحقنة؟ فقال "**جاب**" :

– هل تخبرها أم أفعل أنا ذلك؟ فقال "**بوارو**" بنبرة صارمة:

– يا آنستي، لقد أعد هذا الـ"**أندرسون**" خطة محكمة للاستغلال والقتل .. القتل بطريقة علمية. كان قد قضى غالبية سني عمره في العمل بالأبحاث البكتريولوجية. وله معمل كيميائي في "**سيفلد**" باسم آخر. هناك يحضر مزارع مختلف أنواع البكتيريا المسببة للأمراض. وكان في الأعياد يحقن أتباعه بجرعة صغيرة لكن كافية من القنب الهندي.. المعروف أيضًا باسم الحشيش. وهذا يسبب أوهامًا بالعظمة والمتعة السارة. ربط هذا أتباعه به إذ اعتبروها الأفراح الروحية التي كان يعدهم بها. قالت الآنسة "**كرنابي**" :

– إحساس مبهر جدًّا. أومأ "**بوارو**" :

– كان هذا رأس ماله في صناعته .. شخصية قوية مسيطرة والقدرة على إيجاد هستيريا جماعية وردود الفعل التي يهيئها هذا المخدر. لكن كان أمامه

هدف ثان. توقف قليلاً ثم استطرد:

– النساء اللواتي يعانين الوحدة، في خضم حماسهن وامتنانهن حررن الوصايا تاركات أموالهن لهذه الديانة. وتوفيت تلك السيدات الواحدة تلو الأخرى. توفين في بيوتهن ولأسباب طبيعية ظاهريًّا. ودون التزام بالنواحي الفنية بدرجة كبيرة سأحاول إيضاح ما كان يجري. من الممكن تحضير مزارع عالية القوة من أنواع معينة من البكتيريا. فبكتيريا الباسيليس كولاي كوميونيس .. مثلا .. تسبب الالتهابات القولونية التقرحية. يمكن إدخال بكتيريا التيفويد بالجسم. وكذلك جرثوم ذات الرئة الفصية. هناك أيضًا ما يعرف بالسّلين (أو لقاح السل) الذي لا يضر بالشخص السليم ولكنه يثير وينشط أية إصابة سابقة بهذا المرض. هل تدركين كم كان هذا الرجل داهية؟ تحدث هذه الوفيات في أنحاء مختلفة من البلاد ويكون هؤلاء المرضى تحت رعاية أطباء ولا مخاطر تذكر لإثارة أية شكوك. أعتقد أنه قد قام أيضاً بتحضير مادة لها القدرة على تأخير مع تركيز عمل نوع البكتيريا التي يختارها. قال رئيس المفتشين "**جاب**":

– إنه شيطان .. لو كان للشيطان وجود! واصل "**بوارو**" حديثه:

– بأمر مني أخبرته بأنك مريضة سل. كان بالمحقنة مصل السُّلين عندما ألقى "**كول**" القبض عليه. ما كان من الممكن أن يلحق هذا المصل بك ضرراً لأنك صحيحة؛ ولهذا السبب طلبت منك أن تؤكدي إصابتك بالسل. كنت خائفًا من أنه قد يختار جرثوماً آخر ولكنني احترمت شجاعتك وتركتك تواجهين هذه المخاطرة. قالت "**كرنابي**" مبتسمة:

– آه. لا بأس بذلك. لا يضايقني مواجهة المخاطرات. لا أخاف إلا من الثيران في الحقول وأشياء كهذه. لكن هل لديك من الأدلة ما يكفي لمحاسبة هذا الإنسان البشع؟ ابتسم "**جاب**" قائلاً:

– أدلة كثيرة. فقد وضعنا أيدينا على معمله والمزارع التي أعدها وكل شيء

آخرا قال "**بوارو**" :

– من الممكن أن يكون قد تسبب في وفاة كثيرين. وأرى أن فصله من الجامعة الألمانية لم يكن بسبب أن والدته يهودية ولكن هذا المبرر كان قوامًا لقصة مناسبة يبرر بها عودته دون استكمال فترة دراسته وتضمن له قدراً من التعاطف في الوقت ذاته. أنا شخصيًّا أعتقد أنه من أصل آري خالص. تنهدت الآنسة "**كرنابي**" فسأل "**بوارو**" :

– ما الأمر؟ فأجابت الآنسة "**كرنابي**" :

– كنت أفكر في حلم مدهش رأيته في العيد الأول .. بسبب الحشيش كما أعتقد. قمت بتنظيم العالم كله بطريقة رائعة جدًّا! لا حروب ولا فقر ولا صحة معتلة ولا قبح... ولا جريمة... قال "**جاب**" بقدر من الحسد :

– لابد أنه كان حلمًا جميلاً. نهضت الآنسة "**كرنابي**" مسرعة. قالت :

– ينبغي أن أذهب إلى البيت حالاً. "**إميلي**" قلقة عليّ. و"**أغسطس**" العزيز يفتقدني بشدة كما علمت. فقال "**هركيول بوارو**" مبتسمًا :

– ربما كان يخشى أن تموتي أنت أيضًا من أجل "**هركيول بوارو**" !

*****

القضية العاشرة

طاس الشر

شخصيات الرواية:

- المفتش "**هركيول بوارو**" : مخبر سري.
- "**إمري باور**" : جامع تحف ثري وخبير في الأعمال الفنية.
- "**روبين روزنشول**" : جامع تحف ثري ومنافس قوي لـ"**إمري باور**" .
- "**دوبلي**" (فرنسي): أحد أفراد عصابة لصوص دولية، وهو العقل المفكر.
- "**ريكوفيتي**" (إيطالي): أحد أفراد عصابة لصوص دولية.
- "**باتريك كيسي**" (إيرلندي): أحد أفراد عصابة دولية وخبير في سرقة المنازل.
- "**واجستاف**" : مفتش الشرطة الذي حقق في موضوع سرقة الطاس.
- "**جورج**" : خادم "**هركيول بوارو**" المخلص.

- 1 -

استغرق "**هركيول بوراو**" في تفكير عميق. وهو يتأمل وجه الرجل الجالس خلف المكتب المهاجوني الكبير. لحظ كثافة الحاجبين وضيق الفم وضراوة شكل الفك وحدة العينين الثاقبتين اللتين تركزان نظرهما فيه. فهم من مجرد النظر إلى "**إمري باور**" السبب في أن هذا الرجل استطاع أن يصبح تلك القوة المالية العظيمة التي كانها.

عندما وقع بصره على اليدين النحيلتين الطويلتين الجميلتي الشكل المستقرتين على المكتب فهم أيضًا السبب في أن "**إمري باور**" قد اكتسب سمعته كجامع تحف عظيم. كان مشهوراً على كلا جانبي "الأطلسي" كخبير للأعمال الفنية. كان حبه للأعمال الفنية يجري يداً بيد مع حب مساوٍ للأشياء التاريخية لم يكن يكفيه أن يكون الشيء جميلاً .. بل كان يريد أيضًا أن تكون له خلفية تاريخية. كان "**إمري باور**" يتكلم .. بصوت هادئ .. مميز وخافت وأكثر تأثيراً من أي صوت آخر.

– أعلم أنك لا تقبل قضايا كثيرة حاليًّا. ولكنني أعتقد أنك ستقبل هذه القضية.

– تتعلق بموضوع ذي أهمية كبرى .. إذن؟ قال "**إمري باور**" :

– إنه ذو أهمية لي.

ظل "**بوارو**" على حاله من التساؤل ورأسه مائل جانبًا بقدر طفيف. بدا وكأنه عصفور متأمِّل. استطرد الرجل الآخر قائلاً :

– يتعلق الموضوع باسترداد عمل فني. وهو تحديدا طاس من ذهب مرصّع بالجواهر يرجع تاريخه إلى عصر النهضة. قيل إنه الطاس الذي استخدمه البابا "**ألكسندر السادس**" .. "**روديجو بورجيا**". وكان يقدمه أحيانًا لضيف

يشمله بحبه ليشرب فيه. وعادة ما كان الضيف يموت. قال "**بوارو**" متمتمًا:

– تاريخ جميل.

– كانت مهمته مرتبطة بالعنف دائمًا. تمت سرقته أكثر من مرة ووقعت جريمة قتل في سبيل اقتنائه. تبعه طابور من سفك الدماء عبر الأجيال.

– بسبب قيمته الفعلية أم لأسباب أخرى؟

– قيمته الفعلية عالية بالتأكيد. المصنعية رائعة (قيل إنه صنع بيد "بنفينوتو سيلليني"). يمثل التصميم الذي عليه شجرة يلتف حولها ثعبان من جواهر والتفاح الذي تحمله الشجرة مكون من أحجار زمرد غاية في الجمال. قال "**بوارو**" متمتمًا باهتمام متزايد واضح:

– تفاح؟

– أحجار الزمرد رائعة بصفة خاصة وكذلك أحجار الياقوت التي بالثعبان ولكن من المؤكد أن القيمة الحقيقية للطاس تكمن في ارتباطاته التاريخية. عرض للبيع بالمزاد بواسطة المركيز "**دي سان فيراترينو**" في عام 1929. ظل الجامعون يزايدون على بعضهم البعض ورسا المزاد عليّ في النهاية مقابل مبلغ يعادل بسعر الصرف السائد آنذاك ثلاثين ألف جنيه. رفع "**بوارو**" حاجبيه ثم تمتم قائلاً:

– مبلغ فخم بحق! كان المركيز "**دي سان فيراترينو**" سعيد الحظ. قال "**إمري باور**":

– عندما أرغب في شيء ما بشدة أكون على أهبة الاستعداد لأن أدفع ثمنه يا سيد "**بوارو**". قال "**هركيول بوارو**" بصوت خافت:

– ما من شك في أنك قد سمعت المثل الإسباني: "خذ ما تريد .. وادفع ثمنه.. يقول الرب. قطب الرأسمالي لحظة .. ولاح بعينيه شبح غضب سريع. قال بنبرة فاترة:

– إنك متفلسف يا سيد "**بوارو**" .

– لقد بلغت سن التفكير يا سيدي .

– لا شك في ذلك . ولكن التفكير لن يرد إليّ الطاس .

– لا ترى ذلك؟

– أتصور أن العمل هو الضروري . هز "**هركيول بوارو**" رأسه بهدوء . قال :

– كثيرون يقعون في هذا الخطإ نفسه . ولكنني أستسمحك يا سيدي . لقد حدنا عن الموضوع الذي نحن بصدده . كنت تقول إنك اشتريت الطاس من المركيز "**دي سان فيراترينو**" ؟

– تمامًا . وما ينبغي أن أخبرك به الآن هو أنه سرق قبل أن يدخل في حيازتي فعليًّا .

– وكيف حدث هذا؟

– تعرض قصر "**المركيز**" للسرقة في يوم المزاد وسرقت ثماني أو عشر قطع بالغة القيمة من بينها الطاس .

– وماذا تم في الموضوع؟ هز "**باور**" كتفيه قائلاً :

– تولت الشرطة الموضوع بالتأكيد . وعرفت أن السرقة كانت من عمل عصابة لصوص دولية معروفة . اثنان : رجل فرنسي يدعى "**دوبلي**" وآخر إيطالي اسمه "**ريكوفيتي**" تمكنت الشرطة من القبض عليهما وتمت محاكمتهما .. وجدت بعض المسروقات في حوزتهما .

– لكن ليس طاس "**بورجيا**" .

– لكن ليس طاس "**بورجيا**" ... كان هناك – طبقًا لما استطاعت الشرطة التوصل إليه من معلومات مؤكدة – ثلاثة رجال مشتركين فعليًّا في هذه السرقة .. الاثنان اللذان ذكرتهما لك الآن ، ورجل ثالث إيرلندي اسمه "**باتريك كيسي**" . كان خبيراً بسرقة المنازل . قيل إنه هو الذي سرق تلك الأشياء . كان

"**دوبلي**" هو العقل المفكر للمجموعة والذي كان يضع الخطط للسرقات. وكان "**ريكوفيتي**" مكلفًا بقيادة السيارة والانتظار أسفل البناء حتى تدلى له المسروقات.

– والمسروقات؟ هل كانت تقسم إلى ثلاثة أنصبة؟

– هذا ممكن. من ناحية أخرى كانت الأشياء التي استردت هي الأقل قيمة بين المسروقات، يبدو ممكنًا أن القطع الأكثر قيمة والأجمل شكلاً قد تم تهريبها إلى خارج البلاد على وجه السرعة.

– وماذا عن الرجل الثالث، "**كيسي**"؟ ألم يقدم إلى العدالة قط؟

– ليس بالمعنى الذي تقصده. لم يكن صغير السن جدًا. كانت عضلاته أكثر تيبسًا من ذي قبل. بعد هذه الواقعة بأسبوعين سقط من الطابق الخامس بأحد الأبنية ولقي حتفه في الحال.

– أين كان هذا؟

– في "**باريس**". كان يحاول سرقة منزل "**دوفوجلييه**" المصرفي المليونير.

– ولم ير أحد الطاس منذ ذلك الحين؟

– تمامًا.

– ولم يعرض للبيع؟

– أنا واثق بأنه لم يعرض. يمكنني القول إنه ليست الشرطة وحدها بل الوكالات البحثية الخاصة أيضًا كانت مهتمة بمتابعة الموضوع.

– وماذا بشأن المبلغ الذي سددته ثمنًا له؟

– عرض "**المركيز**" – وهو شخصية حريصة على الشكليات جدًا – عليّ رد المبلغ إليّ حيث إن الطاس كان قد سرق من منزله.

– ولكنك لم تقبل؟

– لا.

– ولماذا؟

– لنقل إنني فضلت أن يظل الموضوع في يديّ أنا.

– تعني أنك لو كنت قد قبلت عرض "**المركيز**" عليك لكان الطاس في حالة استرداده سيصبح ملكًا له بينما هو الآن طاسك أنت من وجهة النظر القانونية؟

– تمامًا. سأل "**بوارو**":

– ماذا كان وراء موقفك ذلك؟ قال "**إمري باور**" مبتسمًا:

– أرى أنك مهتم بهذه النقطة. حسنا يا سيد "**بوارو**". الأمر غاية في البساطة. كنت أظن أنني أعلم في حوزة من الطاس فعليًّا.

– أمر مثير للاهتمام جدًّا. ومن هو ذلك؟

– السيد "**روبين روزنثول**". لم يكن جامعًا زميلاً وحسب بل كان في تلك الآونة عدوًّا شخصيًّا لي أيضًا. كنا منافسين في عدد من الصفقات التجارية.. وكنت أنا الرابح دائمًا. وقد تفاقمت عدواتنا في هذه المنافسة على طاس "**بورجيا**". كان كل منا مصممًا على اقتنائه. كان الأمر مسألة شرف. ضارب كل من ممثلينا المعينين الآخر في المزاد.

– وضمن لك عرض ممثلك النهائي هذه الثروة؟

– ليس تحديداً. توخيت جانب الاحتياط بأن عينت لي وكيلاً ثانيًا.. هو تحديداً ممثل أحد التجار في "**باريس**". ذلك لأن لا واحد منا كان يقبل التنازل للآخر، ولكن من خلال السماح لطرف ثالث بالفوز بالطاس مع إمكانية الاتصال بذلك الطرف الثالث سرًّا فيما بعد.. اختلف الوضع تمامًا.

– خدعة صغيرة في واقع الأمر.

– نعم.

– ونجحت الخطة.. ولم يلبث السيد "**روبين**" أن اكتشف الحيلة التي كان ضحية لها؟ ابتسم "**باور**". وكانت ابتسامته كاشفة. قال "**بوارو**":

– فهمت الوضع الآن. هل تعتقد أن السيد "**روبين**"، بدافع من تصميمه على ألا يضرب في المزاد، رتب لوقوع هذه السرقة متعمداً؟ رفع "**إمري باور**" يداً:

– آه .. لا. لا! ما كان الأمر ليكون بهذه السذاجة. هذا ما كان ليحدث .. بعد فترة قصيرة كان السيد "**روبين**" سيشتري طاساً من عصر النهضة غير محدد الأصل.

– وكانت أوصافه سيكون قد تم نشرها بواسطة الشرطة؟

– ما كان الطاس سيعرض بطريقة مباحة للاطلاع عليه.

– هل تظن أنه سيكون كافيًا للسيد "**روبين**" أن يعرف أنه قد اقتناه؟

– نعم. وفضلاً على ذلك لو كنت قد قبلت عرض "**المركيز**" .. فسيكون بإمكان السيد "**روبين**" أن يعقد معه فيما بعد ترتيباً سريًّا بما يسمح بأن يصبح الطاس بحوزته بالطريق القانوني. توقف عن الكلام لحظة ثم قال:

– لكن باحتفاظي بالملكية القانونية كانت لا تزال هناك إمكانيات أمامي لاسترداد ما أملك. قال "**بوارو**" ببساطة:

– تعني أنه كان يمكنك أن ترتب لأن يسرق الطاس من السيد "**روبين**"؟

– لا لأن يسرق يا سيد "**بوارو**". كنت سأكون مستردًّا ما أملك وحسب.

– ولكنني أفهم أنك لم تنجح في ذلك؟

– لسبب وجيه جداً. إن الطاس لم يكن بحوزة "**روزنثول**" قط.

– وكيف تعلم ذلك؟

– حدث في الآونة الأخيرة إدماج لبعض المصالح البترولية. أصبحت مصالح "**روزنثول**" ومصالحي الآن تلتقيان. نحن حليفان ولسنا عدوين. حدثته بصراحة في الموضوع فأكد لي فوراً أن الطاس لم يكن بحوزته قط.

– وتصدقه؟

– نعم. قال "**بوارو**" مفكرًا:

– بناء على ذلك ظللت عشر سنوات مخطئًا الهدف. قال الرأسمالي بنبرة مشوبة بالمرارة:

– نعم. هذا ما حدث مني بالضبط!

– والآن .. من المفترض أن يبدأ كل شيء من نقطة البداية مرة أخرى؟ فأومأ الآخر.

– وهنا أبدأ مهمتي؟ أنا الكلب الذي تكلفه باقتفاء أثر واهن .. واهن تمامًا. قال "**إمري باور**" بنبرة جافة:

– لو كان الموضوع سهلاً ما كانت هناك ضرورة لأرسل في طلبك. ومن المؤكد أنه لو كنت ترى أنه مستحيل.. لكان قد اهتدى إلى اللفظ الصحيح. انتصب "**هركيول بوراو**" ثم قال بفتور:

– لا اعترف بلفظ "مستحيل" يا سيدي! إنما أسأل نفسي .. هل هذا الموضوع مثير لاهتمامي بما يكفي لأن أضطلع به؟ عادت الابتسامة إلى وجه "**إمري باور**". قال:

– ينطوي على هذا القدر من الاهتمام .. ولك أن تحدد أتعابك. نظر الرجل الصغير الحجم إلى الرجل الضخم ثم قال بصوت خافت:

– أنت راغب في هذه القطعة الفنية إلى هذا الحد إذن؟ من المؤكد لا!

– اعتبرني .. مثلك .. لا أقبل الهزيمة. حنى "**هركيول بوراو**" رأسه قائلاً:

– نعم. في هذه الحالة.. أنا مقدر موقفك...

– 2 –

أبدى المفتش "**واجستاف**" اهتمامًا:

– طاس "**فيراترينو**"؟ نعم. أتذكر كل شيء بشأنه. كنت مسؤولاً عن

الموضوع هنا. أتكلم القليل من الإيطالية .. كما تعلم .. فسافرت إلى هناك وأجريت مشاورات مع المسؤولين في "**إيطاليا**". لم يظهر الطاس منذ ذلك اليوم حتى الآن. حادث غريب ذلك.

– وما هو تفسيرك الخاص؟ بيع في الخفاء؟ هز "**واجستاف**" رأسه:

– أشك في ذلك. احتمال بعيد مع ذلك... لكن لا. تفسيري أكثر بساطة بكثير. الطاس خبِّئ .. والرجل الوحيد الذي كان يعرف مكانه .. توفي.

– تعني "**كيسي**"؟

– نعم. ربما يكون قد خبأه في مكان ما في "**إيطاليا**"، أو ربما يكون قد نجح في تهريبه إلى خارج البلاد. ولكنه خبأه، وحيث خبأه لا يزال هناك. تنهد "**هركيول بوارو**":

– إنها نظرية رومانسية. لآلئ محشوة في قوالب جصية .. ما القصة .. تمثال "**نابليون**" النصفي .. أليس كذلك؟ ولكنها ليست مجوهرات في هذه الحالة بل طاس كبير من الذهب الصب. لا أعتقد أنه من السهل تخبئته. قال "**واجستاف**" بطريقة غامضة:

– لا أدري. من الممكن تخبئته كما أعتقد .. تحت ألواح الأرضية .. أو شيء كهذا.

– هل كان "**كيسي**" يمتلك منزلاً؟

– نعم. في "**ليفربول**". ولم يكن الطاس أسفل ألواح الأرضية بالمنزل. تأكدنا من ذلك.

– وماذا عن أسرته؟

– كانت الزوجة من النوعية المهذبة .. مريضة بالسل. كانت مهمومة جداً بأسلوب حياة زوجها. كانت متدينة .. كاثوليكية ملتزمة .. لكن لم يمكنها أن تتخذ قراراً بالانفصال عنه. توفيت منذ عامين. حذت الابنة حذوها ..

وأصبحت راهبة. أما الابن فكان مختلفاً .. قطعة من أبيه. آخر ما سمعته عنه هو أنه يقضي سنوات محكومية في السجن في "**أمريكا**". دوّن "**هركيول بوراو**" بالكراسة الصغيرة .. "**أمريكا**". قال:

– هل من الممكن أن يعرف ابن "**كيسي**" مكان تخبئة الطاس؟

– لا أعتقد أنه عرفه وإلا كان قد وصل إلى أيدي متلقي السلع المسروقة الآن.

– ربما يكون الطاس قد تم صهره. قال "**واجستاف**":

– ربما. هذا ممكن جداً في رأيي. ولكنني أشك في ذلك.. لأن قيمته عالية لجامعي هذه الأشياء النادرة.. وهنالك أمور غريبة تجري بين هؤلاء الجامعين .. أمور تدهش لها! حتى أنني أرى في بعض الأحيان أن الجامعين لا أخلاق لهم ألبتة.

– آه! هل تدهش إذا علمت أن السيد "**روبين روزنشول**" .. مثلا .. متورط فيما تصفه بأنه أمور غريبة؟ ابتسم "**واجستاف**":

– لا أستبعد عنه ذلك. من غير المفترض أن يكون بريئًا جداً إذا تعلق الأمر بالأعمال الفنية.

– وماذا عن بقية أفراد العصابة؟

– صدر ضد كل من "**ريكوفيتي**" و"**دوبلي**" حكم قاس. أتصور أنه سوف يفرج عنهما في حوالي هذا التوقيت.

– "**دوبلي**" فرنسي.. أليس كذلك؟

– نعم. وكان العقل المدبر للعصابة.

– هل كان هناك أفراد آخرون في هذه العصابة؟

– كانت هناك فتاة .. كانت معروفة باسم "**كيت الحمراء**". عملت وصيفة لإحدى السيدات، وعرفت مكان دكان كانت تحتفظ فيه بالمسروقات وما إلى ذلك. سافرت إلى "**أستراليا**" .. على حد ظني بعد تفكك العصابة.

– أي أشخاص آخرين؟

– رجل اسمه "**يوجويان**" كان يشك في أنه معهم. وهو تاجر مركزه الرئيسي في "**استانبول**" وله متجر في "**باريس**". لم يثبت أي شيء ضده .. وإن كان شخصية مراوغة.

تنهد "**بوارو**". ألقى نظرة إلى الكراسة الصغيرة. كان مدونًا بها: "**أمريكا**" – "**أستراليا**" – "**إيطاليا**" – "**فرنسا**" – "**تركيا**"... قال متمتماً:

– سوف أطوق الأرض بمنطقة .. قال المفتش "**واجستاف**":

– معذرة. فقال "**هركيول بوارو**":

– كنت أبدي ملاحظة بأن هناك إشارة إلى قيامي بجولة حول العالم.

– 3 –

كانت عادة "**هركيول بوراو**" أن يناقش قضاياه مع خادمه الخاص المتمرس "**جورج**"، بمعنى أن يتعمد "**هركيول بوارو**" ذكر ملاحظات معينة لا يلبث "**جورج**" أن يهتدي إلى إجابات عنها بما له من حكمة دنيوية اكتسبها خلال مدة عمله كخادم خاص لهذا الرجل. قال "**بوراو**":

– أخبرني يا "**جورج**". إذا واجهت ضرورة بإجراء تحريات في خمسة أماكن من العالم فكيف ستبدأ؟

– حسنا يا سيدي. السفر بالجو سريع جداً على الرغم مما يذكره البعض من أنه يسبب متاعب في المعدة. لا أستطيع أنا نفسي أن أحكم. وقال "**هركيول بوراو**":

– إنني أتساءل ماذا كان "**هرقل**" سيفعل؟

– تعني راكب الدراجة يا سيدي؟ وواصل "**هركيول بوارو**" كلامه:

– أو يتساءل المرء .. ماذا فعل؟ والإجابة يا "**جورج**" هو أنه سافر بكل طاقة وشجاعة. ولكنه اضطر في النهاية إلى الحصول على معلومات – كما يقول البعض – من "**بروميثيوس**" .. ويقول آخرون من "**نيريوس**". فقال "**جورج**":

– حقيقة يا سيدي؟ لم أسمع قط عن هذين الرجلين. هل هما صاحبا توكيلات سياحية يا سيدي؟ وإذ كان "**هركيول بوارو**" معجبًا بنبرات صوته هو استطرد قائلاً:

– لا يفهم موكلي "**إمري باور**" سوى شيء واحد .. العمل! لكن لا جدوى من استهلاك الطاقة في عمل لا جدوى منه. هناك قاعدة ذهبية في الحياة يا "**جورج**" تنهيك عن أن تقوم بنفسك بأداء عمل من الممكن أن يؤديه لك آخرون. ثم نهض "**بوراو**" متوجهًا إلى رف الكتب وأضاف قوله:

– وبخاصة عندما لا تمثل النفقات مشكلة! أخذ من فوق الرف ملفًّا معنونًا بالحرف "و" .. وكالات بحثية .. يعتمد عليها. ثم قال هامسًا:

– هذه هي "**بروميثيوس**" العصري. أرجوك يا "**جورج**" أن تدون لي أسماء وعناوين معينة. السادة "**هنكرتون**"، "**نيويورك**". "**لاون وبشر**"، "**سيدني**". السيد "**جيوفاني ميزّي**"، "**روما**". "**م. نوحوم**"، "**استانبول**". السادة "**روجيه**" و"**فرانكونار**"، "**باريس**". توقف عن الكلام حتى انتهى "**جورج**" من تدوين تلك الأسماء ثم قال:

– والآن أرجوك أن تعرف مواعيد القطارات المتوجهة إلى "**ليفربول**".

– سمعًا وطاعة يا سيدي. أنت مسافر إلى "**ليفربول**"؟

– لشديد الأسف. ومن الممكن أن تمتد رحلتي إلى أبعد من ذلك يا "**جورج**" لكن ليس في الوقت الحالي.

_ 4 _

بعد ذلك بثلاثة أشهر وقف "**هركيول بوارو**" فوق بقعة صخرية يطل على المحيط الأطلسي. شاهد طيور النورس ترتفع في الهواء ثم تنقض إلى أسفل ثانية بصيحاتها الحزينة الممتدة. كان النسيم عليلاً طيبًا.

راود "**هركيول بوارو**" الإحساس، المعتاد لدى من يأتون إلى "**إنيشجولان**" للمرة الأولى، بأنه قد وصل إلى نهاية العالم. لم يكن قد تصور قط طوال حياته شيئًا بمثل هذا البعد والكآبة والعزلة. كان به جمال حزين موحش، جمال ماض بعيد لا يصدّق. هنا، في غرب "**إيرلندا**"، لم تطأ أقدام الرومان الثقيلة الأرض ولم يقيموا فيها حصنًا ولا معسكرًا. ولم يعبّدوا بها طريقًا نافعًا منظمًا معقولا. كانت هذه أرض لم يعرف فيها الحس السليم ولا أسلوب الحياة المنظم.

نظر "**هركيول بوارو**" إلى أسفل، إلى حذائه الجلدي اللامع الأنيق. أحس بأنه وحيد مهجور. لم يكن في هذه البقعة أي تقدير للمقاييس التي كان يعيش بها. مسحت عيناه الخط الساحلي الموحش مرة بعد أخرى ثم اتجهتا إلى البحر ثانية. في مكان ما هناك، وفقا للتقاليد، كانت جزر المنعم عليهم، أرض الشباب... قال متمتما لنفسه:

– شجرة التفاح، الغناء والذهب...

وفجاة أفاق "**هركيول بوارو**" وعاد إلى طبيعته ثانية .. تبدد السحر، وعاوده التناغم مع حذائه الجلدي اللامع الأنيق ومع حلته الرمادية الداكنة الجميلة. سمع رنين ناقوس على مسافة ليست بعيدة جداً. كان يعلم ماهية هذا الناقوس. وكان صوته مألوفًا له منذ أيام شبابه المبكر.

بدأ السير برشاقة بمحاذاة الصخرة وبعد حوالي عشر دقائق لاح له مشهد البناء الذي يعلو الصخرة. أحاط به سور مرتفع وكان باب مرصّع بالمسامير الكبيرة

الرأس مركبًا بالجدار. أتى "**هركيول بوارو**" إلى هذا الباب وقرعه مستخدمًا المقرعة الحديدية الكبيرة. ثم جذب، بحرص شديد، سلسلة صدئة فدوى صوت ناقوس خافت من داخل الباب.

جذبت لوحة صغيرة بالباب جانبًا كاشفة عن وجه، بدا مرتابًا بداخل إطار من النسيج الأبيض المنشًى. كان شارب مميز فوق الشفة العليا إلا أن الصوت كان صوت امرأة. كان صوت من وصفها "**هركيول بوارو**" بـ"المرأة المرعبة". سأل الصوت عما كان يريده.

– هل هذا هو دير القديسة "**مريم**" وجميع الملائكة؟ قالت المرأة المرعبة بلهجة حادة:

– وماذا غير ذلك من الممكن أن يكون؟ لم يحاول "**هركيول بوارو**" الإجابة عن ذلك بل قال لتلك المرأة العنيفة:

– أود لقاء الأم رئيسة الدير.

لم تكن المرأة راضية ولكنها استسلمت في النهاية. جذبت قضيبين إلى الخلف وفتح الباب واقتيد "**هركيول بوارو**" إلى حجرة صغيرة قليلة الأثاث كانت مخصصة لزائري الدير.

دخلت راهبة الحجرة ومسبحتها تتأرجح عند خصرها. كان "**هركيول بوارو**" كاثوليكيًّا بالمولد لذلك كان يفهم الأجواء التي وجد نفسه فيها. قال:

– أعتذر على إزعاجك يا أمي. أعتقد أن لديكم هنا خادمة كنيسة (راهبة) كان اسمها في العالم "**كيت كيسي**". حنت الأم رئيسة الدير رأسها ثم قالت:

– هذا صحيح. وأصبح اسمها بعد الرهبنة الأخت "**ماري إرشولا**". فقال "**هركيول بوارو**":

– هناك خطأ معين يحتاج إلى أن يصحح. وأعتقد أن الأخت "**ماري إرشولا**"

يمكنها مساعدتي في ذلك. لديها معلومات قد تكون قيمة جداً. هزت الأم رئيسة الدير رأسها. بدا وجهها هادئًا وصوتها هادئًا بعيداً. قالت:

– الأخت "**ماري إرشولا**" لا تستطيع مساعدتك.

– ولكنني أؤكد لك.. ثم توقف وقالت الأم رئيسة الدير:

– الأخت "**ماري إرشولا**" توفيت منذ شهرين.

– 5 –

جلس "**هركيول بوارو**" في بار الصالون بفندق "**جيمي دونوفان**" بغير ارتياح مستنداً إلى الجدار. لم يرق هذا الفندق إلى مستوى فكرته عما ينبغي أن يكون الفندق عليه. كان السرير مكسوراً .. كما كان لوحان من نافذة حجرته .. بما سمح بدخول هواء الليل الذي لم يكن "**هركيول بوارو**" عالي الثقة به. وكان الماء الساخن الذي أحضر إليه فاتراً وسببت له الوجبة التي تناولها مشاعر آلام غريبة بداخله.

كان بالبار خمسة رجال يتحدثون في أمور سياسية. لم يفهم "**هركيول بوارو**" القدر الأكبر مما قالوه ولكنه لم يهتم على أي حال. وجد أحد الرجال الخمسة جالساً بجواره الآن. كان من طبقة اجتماعية مختلفة قليلاً عن الآخرين. كان يبدو مدينياً رقيق الحال. قال بقدر كبير من الوقار:

– أؤكد لك يا سيدي. أؤكد لك أن كبرياء "**بيجين**" لم تتح لها فرصة... ولا فرصة .. من المقدر لها أن تنتهي وهي بعد في المضمار .. وهي بعد على الطريق. اسمع نصيحتي... ينبغي أن يصغي كل واحد إلى نصيحتي. تعلم من أكون يا سيدي، هل تعلم؟ أنا "**أطلس**" .. هذا هو أنا .. "**أطلس**" الذي من "**دبلن صن**"... ظللت أنصح الفائزين طوال الموسم... ألم أكن أنا الذي

نصحت بفرس "**لاري**"؟ خمسة وعشرون إلى واحد... خمسة وعشرون إلى واحد. اتبع نصيحة "**أطلس**" ولن تخطئ أبداً. رمقه "**هركيول بوارو**" بنظرات وقار غريب. قال بصوت مرتعش:

– يا إلهي .. إنه بشير خير!

– 6 –

كان ذلك بعد بضع ساعات. أخذ القمر يظهر بين حين وحين يطل بإغواء من خلف السحب. كان "**بوارو**" بصحبة صديقه الجديد هذا قد مشيا مسافة بضعة أميال. كان "**بوارو**" يعرج. لاحت بذهنه فكرة أن هناك أنواعا أخرى من الأحذية .. الأكثر مناسبة للسير في شوارع الريف من الأحذية الجلدية الأنيقة. كان "**جورج**" قد أشار إلى ذلك بقدر كبير من الاحترام كان قد نصح بزوج من البروغ، الإيرلندي السميك.

إلا أن "**هركيول بوارو**" لم يهتم بهذه الفكرة؛ لأنه كان يحب لقدميه أن تبدوا في حالة من الأناقة بداخل الحذاء الذي يرتديه. أما الآن فقد اعترف، وهو يسير متعثراً في هذا الطريق الحجري، بأهمية الأنواع الأخرى من الأحذية... قال مرافقه على نحو مفاجئ:

– هل بهذه الطريقة سيلاحقني الكاهن بسبب ذلك؟ لا أقبل أن تثقل ضميري خطية مميتة. فقال "**هركيول بوارو**":

– إنك بذلك إنما تعيد إلى "**قيصر**" ما لـ"**قيصر**".

كانا قد بلغا سور الدير. تهيأ "**أطلس**" للقيام بدوره. انطلقت منه زمجرة وقال بنبرات خافتة مؤثرة إنه قد تحطم تماماً! حدثه "**هركيول بوارو**" بنبرة سلطوية قائلاً:

– اصمت. ليس ثقل العالم ما عليك أن تحمله .. بل مجرد وزن "**هركيول بوارو**" فقط.

- 7 -

وقف "**أطلس**" يقلّب في يديه ورقتي نقد جديدتين من فئة الخمسة جنيهات. قال بنبرات تنطق بالأمل:

– قد لا أتذكر في الصباح الطريقة التي كسبت بها هذا المبلغ. إنني مشغول بالقلق من أن يتعقبني الأب "**أوريللي**".

– انسَ كل شيء يا صديقي. في الغد سيكون العالم ملكًا لك. فقال "**أطلس**" متمتمًا:

– وعلامَ أراهن به؟ هناك "**الولد العامل**" جواد ممتاز، وجميل المنظر! وهناك "**شيلا بوين**" بنسبة 7 إلى 1 سأراهن عليها. توقف قليلاً ثم قال:

– هل سمعتك تذكر اسم إله وثني أم أنني تخيلت ذلك؟ أنت قلت "**هرقل**"، وليتمجد اسم الرب، فهناك جواد اسمه "**هرقل**" سوف يجري غداً في سباق الثالثة والنصف مساء. قال "**هركيول بوارو**":

– يا صديقي، راهن بهذا المبلغ على ذلك الجواد. وأنا أؤكد لك أن "**هرقل**" من المستحيل أن يخفق. وصح هذا القول لأنه في اليوم التالي فاز "**هرقل**" جواد السيد "**روسلين**" على غير المتوقع في السباق وربح الجائزة.

- 8 -

بمهارة تامة فض "**هركيول بوارو**" غلاف الطرد الأنيق. الورق البني أولاً ثم مواد الحشو وأخيرا الورق الرقيق. وضع فوق المكتب أمام "**إمري باور**" طاسًا براقًا من الذهب، منقوشًا عليه شجرة تحمل تفاحًا من الزمرد الأخضر. التقط الرأسمالي نفسًا عميقًا. قال:

- أهنئك يا سيد "**بوارو**". انحنى "**هركيول بوارو**". مد "**إمري باور**" يداً لمس بها حافة الطاس ممرِّراً عليها إصبعه. قال بصوت عميق:

- طاسي أنا! وأكد "**هركيول بوارو**" مشاركته إياه في الرأي بقوله:

- نعم. طاسك أنت! أطلق الآخر تنهداً عميقًا. استند إلى الخلف فوق مقعده ثم قال بنبرة رسمية:

- أين عثرت عليه؟ فقال "**هركيول بوارو**":

- وجدته فوق مذبح بإحدى الكنائس. جحظت عينا "**إمري باور**". واستطرد "**هركيول بوارو**" قائلاً:

- كانت ابنة "**كيسي**" راهبة. كانت موشكة على الرهبنة عند وفاة والدها. كانت فتاة غير متعلمة ولكنها كانت متدينة. كان الطاس مخبأ في منزل والدها في "**ليفربول**". حملته إلى الدير بهدف التكفير عن خطايا والدها.. على حد اعتقادي. وهبته ليستخدم لمجد الله. لا أعتقد أن الراهبات أنفسهن كن يعرفن قيمته الحقيقية. ربما اعتبرنه ميراثًا عائليًّا. كان في نظرهن كأس قربان واستخدمنه لهذا الغرض. قال "**إمري باور**":

- قصة غريبة جدًّا. ثم أضاف قوله:

- وما الذي جعلك تفكر في الذهاب إلى هناك؟ هز "**هركيول بوارو**" كتفيه قائلاً:

- ربما عملية الإقصاء أو التخلص من الطاس. خاصة أن هناك واقعا استثنائيًّا.. أن أحداً لم يحاول التصرف في الطاس قط. بدا هذا وكأنه في مكان لا اعتبار فيه للقيم المادية العادية. تذكرت أن ابنة "**باتريك كيسي**" كانت راهبة. قال "**باور**" بحماس شديد:

- حسنا. كما قلت من قبل. إنني أهنئك. أخبرني بقيمة أتعابك حتى أحرر لك شيكًا بالمبلغ. فقال "**بوارو**":

– لا أتعاب. دقق الآخر النظر إليه:

– ماذا تعني؟

– هل قرأت أبدا روايات خيالية وأنت طفل؟ كان الملك يقول في هذه القصص: "اطلب ما تشاء".

– تطلب شيئًا ما إذن؟

– نعم. لكن ليس مالاً. طلب بسيط فقط.

– حسنا. ما هو؟ تطلب نفحة للأسواق؟

– سيكون هذا مالاً بشكل آخر. طلبي أبسط من هذا بكثير.

– وما هو؟ وضع "**هركيول بوارو**" يده على الطاس.

– أعد هذا إلى الدير.

– هل فقدت صوابك كليًّا؟ هز "**هركيول بوارو**" رأسه:

– لا. لم أفقد صوابي. سوف أريك شيئًا.

أمسك بالطاس وضغط بأظافره بشدة إلى داخل الفكين المنفرجين للثعبان الملتف حول الشجرة. فانزلق بداخل الطاس جزء ضئيل من الذهب المنقوش في الداخل جانبًا، تاركًا فتحة متصلة بالمقبض المجوّف. قال "**بوارو**":

– هل ترى؟ كان هذا هو طاس شراب بابا "**بورجيا**". من خلال هذا الثقب الصغير كان السم يتسلل إلى المشروب. لقد قلت بنفسك إن تاريخ هذا الطاس شرير. فقد صاحب اقتناءه عنف ودماء مشاعر شريرة. ربما ينتقل الشر إليك بعد ذلك.

– خرافة!

– ربما. لكن لماذا كنت شغوفًا إلى هذا الحد باقتناء هذا الطاس؟ ليس بسبب جماله. ولا بسبب قيمته؛ لأن لديك مائة .. أو ربما ألف .. قطعة فنية نادرة وجميلة. أردته حفاظًا على كبريائك. صممت على ألا تقهر. حسنًا. إنك

لم تقهر .. أنت هو الفائز! وقد أصبح الطاس في حوزتك. لكن لماذا لا تقدم الآن على لفتة عظيمة متميزة؟ ابعث به إلى حيث كان مستقراً في سلام لمدة عشر سنوات تقريباً. اسمح بأن يتطهر الشر الذي به هناك. أصبح من بين مقتنيات الكنيسة ذات مرة .. فدعه يعود إلى الكنيسة. دعه يقف على المذبح ثانية، طاهراً ومغفور الخطايا، كما نأمل أن تتطهر أنفس الناس أيضاً وتحل من خطاياها وذنوبها. انحنى نحو الأمام قليلاً:

– دعني أصف لك المكان الذي وجدته فيه .. جنة السلام المطلة على البحر الغربي نحو جنة الشباب والجمال الأبدي المنسية.

ظل "**بوارو**" يتحدث واصفاً بألفاظ بسيطة سحر "**إنيشجولان**" البعيد. استند "**إمري باور**" إلى الخلف فوق مقعده واضعاً يداً فوق عينيه. قال في النهاية:

– ولدت في الساحل الغربي لـ"**إيرلندا**". رحلت من هناك وأنا صبي وسافرت إلى "**أمريكا**". قال "**بوارو**" بنبرة رقيقة:

– سمعت ذلك. اعتدل الرأسمالي في جلسته وعادت اليقظة والمكر إلى نظراته. قال وابتسامة رقيقة ترفرف على شفتيه:

– أنت رجل غريب يا سيد "**بوارو**". سيكون لك ما تريد. احمل الطاس إلى الدير كهبة مني. هبة غالية الثمن. ثلاثون ألف جنيه .. وعلامَ أحصل في المقابل؟ فقال "**بوارو**" بلهجة حادة:

– سوف تقيم الراهبات الصلاة من أجل روحك. اتسعت ابتسامة الرجل الثري.. جشعة عطشى. قال:

– بذلك من الممكن أن تمثل استثماراً أيضاً! وربما أفضل استثمار كان لي..

- 10 -

في الرواق الصغير بالدير روى "**هركيول بوارو**" القصة كاملة، وأعاد كأس القربان إلى الأم رئيسة الدير التي قالت:

– أبلغه جزيل شكرنا وأخبره بأننا سوف نصلي من أجله. فقال "**هركيول بوارو**" بنبرة رقيقة:

– إنه يحتاج إلى صلواتكن.

– هل هو رجل تعس إذن؟ فقال "**بوارو**":

– إنه تعس إلى الحد الذي نسي معه ما معنى السعادة. تعس حتى أنه لا يعلم أنه تعس. فقالت الراهبة بصوت خافت:

– آه .. رجل ثري ... ولم يقل "**هركيول بوارو**" شيئًا .. لأنه كان يعلم أن ليس ثمة ما يقال...

*****

القضية الحادية عشرة

حارس الجحيم

شخصيات الرواية:

– الكونتيسة "**فيرا روساكوف**" : كونتيسة روسية رائعة الجمال، مجرمة سابقة وصديقة حالية لـ"**بوارو**" .

– البروفسير "**ليسكيرد**" : عالم آثار.

– الآنسة "**أليس كانينجهام**" : عالمة نفس تدرس النوعيات الإجرامية وخطيبة "**نيكي**" ابن "**الكونتيسة**" .

– السيد "**نيكي**" : ابن "**الكونتيسة**" وخطيب "**أليس**" .

– "**بول فاريسكو**" : مجرم يعيش على النساء وله سجل إجرامي سيئ.

– "**آرستيد باوو بولوس**" : رئيس الندلاء بملهى "**الجحيم**" .

– "**تشارلز ستيفينز**" : مفتش مباحث متخفٍ.

– "**جاب**" : رئيس المفتشين وصديق لـ"**بوارو**" .

– السيد "**هيجز**" : رجل كلفه "**بوارو**" بمهمة خاصة.

– الآنسة "**ليمون**" : سكرتيرة "**بوارو**" الخاصة، على درجة عالية من الكفاءة.

– "**سربيروس**" : كلب حراسة شرس مدرب جيداً.

– "**هركيول بوارو**" : مخبر سري.

- 1 -

وقف "**هركيول بوارو**" في قطار الأنفاق يتأرجح إلى الأمام تارة وإلى الخلف تارة أخرى، ويقذف به إلى شخص معين ثم إلى آخر. قال محدثًا نفسه في صمت: إن في العالم أناسا كثيرين! من المؤكد أن في عالم أنفاق "**لندن**" في هذه اللحظة .. السادسة والنصف مساء .. عددًا كبيرًا جدًّا من الناس. حرارة الجو والضوضاء والزحام والتلامس .. والضغط غير المقبول من الأيدي والأذرع والأجسام والأكتاف! يقف المرء محاطًا، ومضغوطًا عليه من كل جانب، بالغرباء.. وهم على وجه العموم مجموعة عادية جدًّا من الغرباء! عندما ترى البشرية بهذا الكم لا يكون بها أي قدر من الجاذبية لأحد. كما أنه قد أصبح نادرًا أن يُرى وجه يشع بالذكاء أو يقع البصر على امرأة مكتملة السحر والأناقة! وما تلك الرغبة، التي استبدت بالنساء، في حبك التريكو في ظل أسوإ الظروف وأكثرها عدم مناسبة؟ لا تبدو المرأة على أفضل حالاتها وهي تحبك التريكو، بذلك الاستغراق التام فيما تقوم به وفتور النظرات وانشغال الأصابع بلا هوادة. يحتاج المرء إلى خفة حركة هرة برية وقوة إرادة "**نابليون**" حتى يتمكن من حبك التريكو في قطار أنفاق مزدحم ولكن النساء استطعن ذلك! إذا نجحن في الحصول على مقعد فسرعان ما يخرج ذلك الشريط من النسيج وتسمع قعقعة حركة الإبرتين.

قال "**بوارو**" محدثًا نفسه إن لا راحة ولا رشاقة أنثوية! تمردت روحه العنيفة على ضغوط الحياة الحديثة وعلى سرعة إيقاعها. جميع هؤلاء الفتيات اللواتي يحطن به .. متشابهات بدرجة كبيرة، ومفتقرات إلى ثراء الأنوثة المغوية إلى حد بعيد! يطلب جاذبية أكثر توهجًا. آه. لو أنه يرى امرأة تهتم بنفسها، أنيقة دافئة المشاعر منتعشة الروح .. امرأة ذات انحناءات ممتلئة متبهرجة الهندام! كانت

هناك أمثال هذه النساء ذات مرة. أما الآن .. الآن..

توقف القطار بإحدى المحطات وتدفق الناس إلى خارجه دافعين بـ"**بوارو**" إلى الخلف نحو أسنان إبر التريكو، وتدفق آخرون إلى داخل العربة معتصرين إياه إلى مزيد من اقتراب سرديني من الزملاء الركاب. استأنف القطار السير ثانية بهزة عنيفة ألقت بـ"**هركيول بوارو**" إلى امرأة قوية البنية تحمل طروداً معقودة. اعتذر ثانية. أحس بشاربه يصبح نحيلاً وغير متموج. يا له من جحيم! لحسن الحظ أن المحطة التالية كانت مقصده!

وكانت أيضاً غاية ما بدا أنه حوالي مائة وخمسين فرداً آخرين؛ لأنه تصادف أن كانت محطة "**سيرك بيكاديللي**". تدفقوا إلى الرصيف خارج القطار مثل موجة عاتية. ومرة أخرى كان "**بوارو**" محاطًا بإحكام فوق مصعد كهربائي يحمله إلى أعلى نحو سطح الأرض.

رأى "**هركيول بوارو**" في طريقه إلى سطح الأرض كم كان حشر حقيبة ملابس في بطن ركبتي المرء مؤلمًا جداً! في تلك اللحظة سمع صوتًا ينادي اسمه. رفع بصره جزعاً. على السلم المقابل، النازل إلى الرصيف، رأت عيناه غير مصدقتين مشهداً من الماضي. امرأة رائعة متوهجة المنظر، كللت شعرها الكثيف المصبوغ بالحناء الحمراء قبعة صغيرة من القش عليها عدد من العصافير الزاهية ألوان ريشها، وتدلى من كتفيها لفاح من فراء ثمينة. فتح فمها القرمزي عن آخره ودوّى صوتها الأجنبي العميق عاليًا. كانت قوية الرئتين. صاحت:

- إنه حقيقي! صحيح إنه حقيقي! عزيزي "**هركيول بوارو**"! لابد أن نلتقي ثانية! أنا مصممة!

ولكن القدر ذاته ليس أقل رحمة من سلوك مصعدين كهربائيين يتحركان في اتجاهين متضادين. حُمِل "**هركيول بوارو**" بثبات وبلا رحمة إلى أعلى بينما حُمِلت الكونتيسة "**فيرا روساكوف**" إلى أسفل. صاح "**بوارو**" بيأس

وهو يميل جانبًا مستنداً إلى الدرابزين:

– يا سيدتي العزيزة .. أين إذن يمكنني أن أعثر عليك؟ وأتته الإجابة خافتة من العمق. لم تكن متوقعة وإن كانت قد بدت آنذاك ملائمة بقدر من الغرابة:

– في الجحيم...

طرف "**هركيول بوارو**" بعينيه. وطرف ثانية. وفجأة تأرجح على قدميه. لم يدرك أنه قد وصل إلى أعلى فلم يخط بعيداً عن المصعد. انتشر الجمع من حوله. على مسافة قصيرة من أحد الجوانب كان جمهور كثيف يضغط في اتجاه المصعد الهابط. هل ينضم إليهم؟ هل كان هذا ما تعنيه "**الكونتيسة**"؟ ما من شك في أن الانتقال في جوف الأرض في ساعة الذروة كان جحيماً. لو كان هذا هو المعنى الذي تقصده "**الكونتيسة**" فإنه متفق معها تمامًا.

عبر "**بوارو**" بتصميم إلى المصعد الهابط حيث حشر نفسه بين الجمع النازل محمولا إلى الأعماق ثانية. لم ير أثرًا لـ"**الكونتيسة**" عند قدم المصعد. كان أمامه أن يختار ما بين الضوءين الأزرق والأصفر أو غيرهما ليتبعه.

هل كانت "**الكونتيسة**" تتعامل مع خط "**بكيرلو**" أم خط "**بيكاديللي**"؟ توجه "**بوارو**" إلى كلا الرصيفين الواحد بعد الآخر. كان يدفع به إلى هنا وهناك بفعل الجمهور الذي يسعى إلى أن يركب القطار أو إلى أن يغادره، ولكنه لم ير الشكل البشري الروسي المبهر الذي للكونتيسة "**فيرا روساكوف**". صعد "**هركيول بوارو**" مرة أخرى إلى مستوى الأرض مهمومًا محبطًا وحزينًا جداً، حيث خرج إلى ضجيج "**سيرك بيكاديللي**". وصل إلى بيته بحالة إثارة مسرورة.

إنها مأساة الرجال الصغار الحجم أن يفتتنوا بالنساء المبهرات الطلعة. لم يتمكن "**بوارو**" قط من أن يتخلص من افتتانه القاتل بتلك "**الكونتيسة**". فعلى الرغم من أنه قد انقضى على آخر مرة رآها فيها حوالي عشرين عامًا إلا أن السحر لم

يزل هناك. وعلى فرض أن زينة وجهها كانت أشبه بمشهد غروب الشمس بريشة رسام مشاهد، وأن المرأة التي خلف الماكياج خافية تماما على البصر إلا أنها لا تزال تمثل لـ"**هركيول بوارو**" الفخامة والإبهار. لم يزل البرجوازي النحيل مبهوراً بتلك الأرستقراطية. أثارت ذكريات الطريقة الداهية التي كانت تسرق بها المجوهرات إعجابه القديم. تذكر رباطة الجأش الرائعة التي كانت تعترف بها بالسرقة عند اتهامها بها. امرأة من ألف ... من مليون امرأة أخرى! وقد التقى بها مرة أخرى .. وضاعت منه!

كانت قد قالت: "في الجحيم". من المؤكد أن أذنيه لم تخدعاه؟ كان هذا ما قالته؟

لكن ما الذي كانت تعنيه بذلك؟ هل كانت تعني قطارات أنفاق "**لندن**"؟ أم أنه من المفترض أن يؤخذ قولها بمفهوم ديني؟ من المؤكد أنه حتى لو كانت طريقة حياتها تجعل من الجحيم أنسب جهة وصول إليها بعد هذه الحياة، فمن المؤكد .. من المؤكد أن أخلاقها الروسية وتهذيبها لا يليق بهما أن يوحيا بأن "**هركيول بوارو**" مقدر له ذات المصير بالضرورة.

لا. لابد أنها كانت تعني شيئًا مختلفًا عن ذلك تمامًا. لابد أن تكون قد قصدت أن "**هركيول بوارو**" قد نشأ صامداً للارتباك والحيرة. يا لها من امرأة آسرة! يا لها من امرأة يستحيل التنبؤ بما تفعله! امرأة أقل مستوى منها كانت ستصيح قائلة الـ"**ريتز**" أو "**كلاريدج**" أما "**فيرا روساكوف**" فصاحت بنبرة مثيرة للمشاعر ومستحيلة على غيرها: "**الجحيم**"!

تنهد "**بوارو**" ولكنه لم يشعر بالهزيمة. في صباح اليوم التالي سلك – في حيرته – أبسط السبل وأكثرها استقامة. سأل سكرتيرته الآنسة "**ليمون**".

كانت هذه الآنسة "**ليمون**" قبيحة الشكل بدرجة لا تصدق مع كونها كفئًا إلى حد يستحيل تصديقه أيضًا. لم يكن "**بوارو**" بالنسبة إليها شخصية ذات

أهمية خاصة . . كان لها مجرد صاحب العمل. قدمت له خدمات متميزة. أما أفكارها وأحلامها الخاصة فكانت منصبّة على نظام حفظ ملفات جديد كانت تنقحه بالتدريج بأعماق ذهنها.

– يا آنسة "**ليمون**"، هل تسمحين لي بأن أطرح عليك سؤالاً؟

– بكل تأكيد يا سيد "**بوارو**". ورفعت أصابعها من على مفاتيح الآلة الكاتبة وانتظرت بانتباه.

– إذا طلب منك أحد الأصدقاء أو الصديقات أن تلتقيه . . أو تلتقيها . . في الجحيم، فماذا تفعلين؟ لم تنتظر الآنسة "**ليمون**" كالمعتاد. كانت تعرف الإجابة عن جميع الأسئلة كما يقول المثل. قالت:

– أعتقد أنه من المناسب أن تتصل هاتفيًا وتحجز مائدة. دقق "**هركيول بوارو**" النظر إليها باستغراب. قال بصوت متقطع:

– كنت . . ستتصلين . . هاتفيًا . . وتحجزين . . مائدة؟ أومأت الآنسة "**ليمون**" وجذبت الهاتف إليها ثم سألت:

– الليلة؟ وإذ اعتبرته موافقًا، حيث إنه لم يجبها طلبت الرقم برشاقة.

– بار المعبد 14578؟ هل هذا "**الجحيم**"؟ أرجو حجز مائدة لاثنين باسم السيد "**هركيول بوارو**"، الحادية عشرة.

أعادت السماعة إلى موضعها وعادت أصابعها تحلق فوق مفاتيح الآلة الكاتبة. ظهرت على وجهها علامة ضيق باهتة تمامًا، بدت وكأنها تقول إن الفتاة قد أدت مهمتها ومن المؤكد أنه من الواجب أن يتركها صاحب العمل الآن وشأنها لتواصل عملها. ولكن "**هركيول بوارو**" كان يحتاج إلى إيضاحات. سأل:

– ما هو إذن . . هذا "**الجحيم**"؟ بدت الآنسة "**ليمون**" دهشة بقدر طفيف.

– آه . . ألم تعلم يا سيد "**بوارو**"؟ إنه ملهى ليلي . . حديث تمامًا وهو البدعة السائرة جداً في الوقت الراهن . . تديره امرأة روسية على حد اعتقادي. يمكنني

أن أرتب لك عضوية فيه بسهولة تامة قبل أن يحين المساء. وإذ قالت الآنسة "**ليمون**" ذلك وبناء على ما أوضحته من أنها قد أضاعت وقتًا بما يكفي انكبت على العمل بكفاءة على الآلة الكاتبة.

مرّ "**هركيول بوارو**" في الحادية عشرة من ذلك المساء من مدخل تعلوه لافتة تكشف عن حرف واحد في كل مرة. استقبله رجل يرتدي سترة خطافية حمراء وأخذ منه معطفه. وجهته إشارة إلى عدد من الدرجات العريضة القليلة العمق تؤدي إلى أسفل. على كل من الدرجات كتبت عبارة معينة. كانت العبارة الأولى:

- كنت حسن النية... والثانية:

- امح ما على سجل الأعمال وابدأ من جديد... والثالثة:

- يمكنني التخلي عنها في أي وقت أريد.. تمتم "**هركيول بوارو**" لنفسه مستحسنًا:

- النوايا الحسنة التي تمهد الطريق إلى "**الجحيم**". تصور جيد هذا!

نزل الدرج وكانت عند قدمه بركة ماء بها زنابق قرمزية يعلوها جسر على شكل قارب. عبر "**بوارو**" هذا الجسر. كان على يساره - في نوع من الكهف الرخامي - يجلس أكثر الكلاب التي رآها "**بوارو**" طوال حياته ضخامة وقبحًا وسوادا! جلس معتدلاً وكئيبًا وثابتًا تمامًا. ظن أنه غير حقيقي (وتمنى ألا يكون حقيقيًّا أيضًا)، لكن في تلك اللحظة بالذات أدار الكلب رأسه الشرس القبيح وانطلقت من عمق جسده الأسود زمجرة مدوية. كان ذلك الصوت مخيفًا.

لحظ "**بوارو**" عندئذ وجود سلة زينة صغيرة بداخلها فطائر كلاب صغيرة مستديرة، كتب عليها استرضاء لـ"**سربيروس**"!

كانت عينا الكلب مركزتين فيها. مرة أخرى سمعت الزمجرة المدوية. التقط "**بوارو**" مسرعًا إحدى هذه الفطائر وألقى بها في اتجاه الكلب العملاق. تثاءب

الفم الأحمر الكهفي ثم سمع صوت انقصاف حاد عندما انطبق الفكّان الكبيران ثانية. لقد قبل "**سربيروس**" الرشوة! واصل "**بوارو**" السير من خلال باب مفتوح.

لم تكن الحجرة فسيحة. تناثرت فيها الموائد الصغيرة ويتوسطها فراغ كباحة للرقص. وكانت مضاءة بمصابيح حمراء صغيرة وعلى الجدران لوحات جصية. وكانت على الجانب البعيد من الحجرة شواية كبيرة يعمل أمامها طهاة في زي شياطين لها ذيول وقرون. كل هذا لحظه "**بوارو**" قبل أن تهبط عليه الكونتيسة "**فيرا روساكوف**" بكل اندفاع طبيعتها الروسية، متألقة في ثوب سهرتها القرمزي، فاتحة له ذراعيها.

– آه .. لقد أتيت يا عزيزي! يا صديقي العزيز جدًّا! كم أنا فرحة برؤيتك ثانية! بعد كل هذه السنين .. الطويلة .. كم عددها؟ لا. لن نسأل كم عددها! فهي لا تبدو لي إلا وكأنها أمس فقط. لم تتغير .. لم يتغير أي شيء فيك! وقال "**بوارو**" بانحناءة طفيفة فوق يدها:

– ولا أنت يا صديقتي العزيزة.

ومع ذلك كان الآن مدركًا تمامًا أن عشرين عامًا هي عشرون عامًا وربما أنه من غير الممكن تمامًا أن توصف الكونتيسة "**روساكوف**" بقسوة بأنها حطام؛ لأنها كانت على أقل تقدير حطامًا مشهديًّا. لا يزال هناك الامتلاء بالحيوية والمرح وحب الحياة. وكانت تعرف أكثر من أية امرأة أخرى كيف تجامل الرجل وتستميله إليها. جذبت "**بوارو**" معها إلى إحدى الموائد حيث كان آخران يجلسان. قالت معلنة لهما:

– صديقيّ، صديقي المعروف السيد "**هركيول بوارو**". هو رعب الأشرار! أنا شخصيًّا كنت أخافه في وقت ما ولكنني الآن أعيش حياة منتهى خمول الاستقامة والفضيلة أليس كذلك؟ فقال الرجل الطويل القامة النحيل القوام الذي

كانت توجه إليه حديثها:

– لا تقولي خمولاً أبداً أيتها "**الكونتيسة**". قالت "**الكونتيسة**" معلنة:

– البروفسير "**ليسكيرد**". الذي يعلم كل شيء عن الماضي وهو من قدَّم إليَّ الأفكار القيمة الخاصة بعمل الديكورات الداخلية هنا. أبدى عالم الآثار رعشة طفيفة. قال متمتماً:

– هذا لو كنت قد علمت ما تهدفين إلى تنفيذه! النتيجة مذهلة.

تأمل "**بوارو**" اللوحات الجصية من قرب. كان على الجدار المواجه له "**أورفيوس**" وفريق موسيقى "الجاز" يعزفون، بينما كان "**يوريديس**" يتطلع نحو الشواية آملاً. وعلى الجدار المقابل بدا "**أوزوريس**" و"**إيزيس**" وكأنهما يقيمان حفلاً على متن زوارق على الجانب المقابل من الأرض. وعلى الجدار الثالث كان عدد من الشباب يستمتعون بحمّام جماعي في حالة عري تام. قالت "**الكونتيسة**" شارحة:

– بلاد الشباب. ثم قالت مكمِّلة تقديم ضيوفها:

– وهذه صديقتي الصغيرة "**أليس**".

انحنى "**بوارو**" احتراماً للشخصية الثانية الشاغلة للمائدة، وكانت فتاة صارمة الملامح ترتدي معطفًا وجونلة من نسيج ذي ترابيع، ونظارة ذات إطار قرني الشكل. قالت الكونتيسة "**روساكوف**":

– إنها ذكية جداً، حاصلة على درجة علمية وهي عالمة نفسانية وعلى علم بكافة الأسباب التي تجعل المجانين مجانين! ليس، كما من الممكن أن تظن، هذا لأنهم مجانين! لا. هناك أنواع أخرى من الأسباب. أرى أن ذلك غريب جداً.

ابتسمت الفتاة "**أليس**" برقة لكن بقدر من الاحتقار. سألت "**البروفسير**" بصوت حازم عما إذا كان يحب أن يرقص. بدا مقدِّراً تلك المجاملة ولكنه كان متردداً.

– يا فتاتي العزيزة، يؤسفني أنني لا أعرف سوى "الفالس". فقالت "**أليس**" بقدر من الصبر:

– هذه موسيقى "الفالس". نهضا ورقصا. ولم يكن رقصهما جيداً. تنهدت الكونتيسة "**روساكوف**". وبعد سلسلة من التفكير قالت متمتمة:

– ومع ذلك ليست سيئة المنظر جداً... قال "**بوارو**" مبديًا رأيه:

– لا تستغل ما وهبتها الطبيعة قدر الإمكان. فصاحت "**الكونتيسة**":

– بصراحة تامة لا يمكنني فهم الشباب في هذه الأيام. الشابات لا يحاولن الإرضاء .. كنت في شبابي أحاول دائمًا .. وأجرِّب الألوان التي تناسبني .. وقدر قليل من الإضافات إلى بطانة الثياب .. والمشد الضيق حول الخصر .. والشعر ربما بدرجة لون أكثر إثارة للإعجاب ..

أزاحت الخصلات الكثيفة إلى الخلف من فوق جبينها.. وكان واضحًا أنها كانت.. على الأقل.. لا تزال تحاول وتحاول بجد!

– أن تقتنع المرأة بما وهبتها الطبيعة .. غباء! ولا يخلو من قدر من العجرفة! "**أليس**" الصغيرة هذه تكتب صفحات من كلمات طويلة عن العلاقات العاطفية لكن كم مرة يقترح عليها رجل أن يذهبا إلى "**برايتون**" لقضاء عطلة نهاية الأسبوع؟ كل هذا كلمات طويلة وعمل وصالح العمال ومستقبل العالم. كل هذا قيِّم لكن هل هو مرح؟ إني أسألك، وكم جعل هؤلاء الشباب الدنيا كئيبة! لا شيء بها سوى التنظيمات والممنوعات! لم تكن كذلك عندما كنت شابة.

– هذا يذكرني .. كيف حال ابنك يا سيدتي؟

في اللحظة الأخيرة استبدل بعبارة الولد الصغير كلمة ابنك متذكراً أن عشرين عاماً كاملة قد انقضت. أشرق وجه "**الكونتيسة**" بحماس الأمومة.

– ملاكي الحبيب! كبير الآن جداً، عريض الكتفين ووسيم! هو في "**أمريكا**".

معني بأعمال التشييد والبناء .. الجسور والبنوك والفنادق والمتاجر العملاقة والسكك الحديدية وأي شيء يريده الأمريكيون! بدا "**بوارو**" متحيراً بقدر طفيف:

– إنه مهندس ميكانيكي إذن أم أنه مهندس مدني؟ فسألت "**الكونتيسة**":

– وماذا يهم؟ إنه محبوب جداً. ومحاط بالعوارض الحديدية والماكينات وأشياء تسمى الإجهادات. هذه النوعية من الأشياء التي لم أفهم منها شيئًا قط. ولكنّ كلا منا يحب الآخر .. دائمًا نحب بعضنا البعض! ومن أجله أحب "**أليس**" الصغيرة. نعم. فإنهما مخطوبان. التقيا على متن طائرة أو سفينة أو قطار وأحب كل منهما الآخر، كل هذا أثناء الحديث عن صالح العمال. وعندما تأتي إلى "**لندن**" تأتي لزيارتي وأرحب بها جداً، آخذها إلى قلبي وأقول لها: "أنت و"**نيكي**" متحابان .. لهذا أنا أيضًا أحبك .. لكن مادمت تحبينه لماذا تتركينه في "**أمريكا**"؟ "، فتتحدث عن "وظيفتها" وعن الكتاب الذي تقوم بتأليفه وعن عملها. وأنا لا أفهم صراحة ولكنني دائمًا أقول لنفسي ينبغي أن يكون المرء متسامحاً. وما رأيك يا صديقي العزيز في كل هذا الذي تخيلته هنا؟ فقال "**بوارو**" وهو ينظر من حوله مستحسنًا:

– خيال جيد جداً .. إنه أنيق!

كان المكان مملوءاً بالرواد وسادته أجواء نجاح لا يخطأ ويستحيل أن يكون زائفًا. كان هناك الأزواج الفاترو الهمة بملابس السهرة، والبوهيميون في بنطلونات من القماش القطني المضلع السميك، والرجال الأقوياء البنية في حلل رجال الأعمال. ظهر أفراد الفرقة الموسيقية في زي شياطين وعزفوا الموسيقى الصاخبة. ما من شك في أن "**الجحيم**" قد أتى تأثيره. قالت "**الكونتيسة**":

– لدينا جميع النوعيات هنا. وهكذا ينبغي أن يكون الوضع .. أليس كذلك؟ لأن أبواب الجحيم مفتوحة للجميع. فقال "**بوارو**":

– ربما باستثناء الفقراء؟ فضحكت "**الكونتيسة**":

– ألم نتعلم أن من الصعب أن يدخل غني ملكوت السماوات؟ من الطبيعي إذن أن تكون له أفضلية في "**الجحيم**". كان "**البروفسير**" و"**أليس**" عائدين إلى المائدة. نهضت "**الكونتيسة**" قائلة:

– لابد لي أن أتحدث إلى "**آرستيد**". تبادلت بضع كلمات مع رئيس الندلاء، وهو "**مفيستوفيليس**" (شيطان) نحيل الجسد، ثم طافت بالموائد الواحدة بعد الأخرى تتحدث إلى الضيوف. قال "**البروفسير**" بعد أن جفف جبينه واحتسى قدراً من كأسه:

– إنها شخصية .. أليست كذلك؟ والناس يشعرون بذلك.

استأذن ليذهب ويتحدث مع آخر إلى مائدة أخرى. وإذ وجد "**بوارو**" نفسه بمفرده مع "**أليس**" الصارمة شعر بشيء من الحرج وهو يتلقى فتور عينيها الزرقاوين. رأى أنها جميلة جداً فعلياً ولكنه اكتشف أنها مخيفة أيضاً. قال متمتماً:

– لم أعرف لقبك بعد.

– "**كانينجهام**". الدكتورة "**أليس كانينجهام**". كنت تعرف "**فيرا**" منذ زمن طويل .. على حد فهمي؟

– منذ عشرين عاماً تقريباً. فقالت الدكتورة "**أليس كانينجهام**":

– أجد أنها مادة دراسية ممتعة جداً. من الطبيعي أن تهمني بصفتها والدة الرجل الذي سوف أتزوجه كما أنني مهتمة بها من وجهة النظر المهنية أيضاً.

– حقيقة؟

– نعم. إنني بصدد تأليف كتاب عن سيكولوجية الجريمة. وأجد في حياة الليل بهذا المكان الاستنارة اللازمة. لدينا عدد من النوعيات الإجرامية التي تأتي إلى هنا بانتظام. ناقشت مع بعضهم ظروف حياتهم السابقة. من المؤكد أنك

تعلم كل شيء عن ميول "**فيرا**" الإجرامية .. أعني أنها تميل إلى السرقة؟ فقال "**بوراو**" دهشاً إلى حد ما:

– نعم. أعلم ذلك.

– أطلق على هذه الحالة عقدة العقعق. دائماً ما تستهويها الأشياء البراقة. لا المال. المجوهرات دائماً. وجدت أنها كانت مدللة جداً وهي طفلة ومكتملة الحماية. كانت الحياة لها متبلدة وآمنة. كانت طبيعتها تحتاج إلى الأحداث الدرامية .. تواقة إلى العقاب. هذا هو أساس انخراطها في السرقة، تريد الأهمية وشهرة العقوبة! قال "**بوارو**" معترضاً:

– من المستحيل أن تكون قد عاشت حياة متبلدة وخاملة كفرد في النظام القديم في "**روسيا**" أثناء الثورة؟ بدا شعاع من اهتمام في عيني الآنسة "**كانينجهام**" الزرقاوين الباهتتين. قالت:

– آه. فرد في النظام القديم؟ هل أخبرتك بذلك؟ فقال "**بوارو**" بقوة وإخلاص كابحاً ذكريات معينة عن التغيرات المتلاحقة في حياة "**الكونتيسة**" المبكرة، التي كانت قد أخبرته عنها بنفسها:

– هي امرأة أرستقراطية بلا شك. فقالت الآنسة "**كانينجهام**" رامقة "**بوارو**" بنظرة مهنية:

– يصدق المرء ما يريد أن يصدقه.

أحس "**بوارو**" بالجزع. شعر بأنها في غضون دقيقة سوف تحدد له نوعية عقدته. قرر أن ينتقل بالحرب إلى معسكر العدو. فقد كان محبًّا لصحبة "**الكونتيسة**" بسبب أصولها الأرستقراطية، ولم يكن على استعداد لأن يسمح لفتاة فاترة النظرات ترتدي نظارة وحاصلة على درجة علمية في علم النفس بأن تفسد متعته! سألها:

– هل تعلمين ما الذي يثير دهشتي؟ لم تعترف "**أليس كانينجهام**"

باستخدام كلمات كثيرة بأنها لم تعلم. اكتفت بأن تظهر مللاً وتسامحًا في الوقت ذاته. فاستطرد "**بوارو**" قائلاً:

– يدهشني أنك أنت .. في هذه السن الشبابية والتي يمكنك أن تبدي فاتنة لو أنك كلفت نفسك هذا العناء .. يدهشني أنك لا تكلفين نفسك هذا العناء! ترتدين معطفا وجونلة من نسيج سميك، وجيبين كبيرين كما لو كنت متوجهة لأداء مباراة جولف. ولكن أرض الجولف ليست هنا في ملهى واقع تحت سطح الأرض تبلغ درجة الحرارة فيه 21° مئوية. وأنفك لامع من شدة الحرارة ولا تهتمين بوضع قدر من المسحوق عليه، وأحمر الشفاه الذي تستخدمينه بلا اهتمام ودون تأكيد منحنيات الشفتين! أنت امرأة ولكنك لا تلفتين النظر إلى واقع أنك امرأة. وأنا أقول لك لماذا لا تفعلين ذلك؟ إنه أمر مؤسف جدًّا!

استمتع لحظة برضا رؤية "**أليس كانينجهام**" تبدو بشرية. حتى أنه رأى ملامح غضب في عينيها. ولكنها سرعان ما استعادت موقفها من الازدراء المبتسم. قالت:

– يا عزيزي السيد "**بوارو**"، يؤسفني أنك بعيد كل البعد عن الأيديولوجيات الحديثة. الأهمية للأساسيات .. وليست للزخارف. رفعت بصرها عندما أقبل نحوهما شاب أسمر بالغ الوسامة. قالت متمتمة بحماس:

– أحد النوعيات الأكثر إثارة للاهتمام. اسمه "**بول فاريسكو**"! يعيش على النساء وله ميول انحرافية غريبة! أريد منه أن يخبرني بالمزيد عن المربية التي تولت العناية به عندما كان في الثالثة من عمره.

بعد بضع دقائق كانت ترقص مع هذا الشاب. كان رائع الرقص. وبينما كانا يقتربان من مائدة "**بوارو**" سمعها "**بوارو**" تقول:

– وبعد الإجازة الصيفية في "**بوجنور**" أعطتك مرفاعًا لعبة؟ مرفاع .. نعم .. هذا موح جدًّا.

سمح "**بوارو**" لنفسه لحظة بأن يعبث ذهنيًا بفكرة أن اهتمام الآنسة "**كانينجهام**" بالنوعيات الإجرامية قد يؤدي يومًا ما إلى العثور على جثتها مشوهة وملقاة في غابة موحشة. لم تعجبه "**أليس كنينجهام**" ولكنه كان من الأمانة بحيث تبين أن سبب عدم إعجابه بها هذا راجع إلى عدم إعجابها الواضح بـ"**هركيول بوارو**"! وأن غروره يعاني!

وقع بصره بعد ذلك على ما جعل ذهنه يتخلى عن التفكير في "**أليس كانينجهام**". إلى مائدة على الجانب الآخر من باحة الرقص جلس شاب أشقر الشعر، مرتديا ملابس السهرة، لامع الشعر أنيق الشارب، كان مظهره العام يوحي بحياة راحة وترف. جلست قبالته النوعية الصحيحة من المرأة الثرية. كان يحملق إليها بافتتان أحمق. كان أي إنسان ينظر إليهما سيقول: "الأثرياء العاطلون!" ومع ذلك كان "**بوارو**" على علم تام بأن الشاب ليس ثريًا ولا عاطلاً. ولكنه في واقع الأمر مفتش المباحث "**تشارلز ستيفينز**" وبدا محتملاً لـ"**بوارو**" أن هذا الضابط متواجد هناك في مهمة عمل رسمية...

- 2 -

قام "**هركيول بوارو**" في صباح اليوم التالي بزيارة إلى "**سكوتلانديارد**" ليقابل صديقه "**جاب**" رئيس المفتشين. لم يكن استقبال "**جاب**" لاستفساراته المتعاقبة مريحًا. قال "**جاب**" بنبرة دافئة:

– أيها الثعلب العجوز! كيفية توصلك إلى معرفة كل هذا .. تحيرني!

– ولكنني أؤكد لك أنني لا أعرف شيئًا .. لا شيء ألبتة! إنه مجرد فضول خامل. قال "**جاب**" ما يعني أنه لم يصدق ادعاء "**بوارو**" هذا. ثم استطرد:

– تريد أن تعرف كل شيء عن هذا المكان "**الجحيم**"؟ حسنا .. هو في ظاهره

أحد تلك الملاهي الليلية الناجحة! لابد أنهم يربحون أموالاً كثيرة، على الرغم من ارتفاع التكاليف بالتأكيد. هناك امرأة روسية تديره بمهارة واقتدار تسمي نفسها الكونتيسة كذا أو كذا .. فقال "**بوارو**" بهدوء:

– أعرف الكونتيسة "**روساكوف**". إننا صديقان منذ سنوات. فاستطرد "**جاب**" قائلاً:

– ولكنها مجرد دمية. لم تقم بتمويل هذا المشروع. ربما أن كبير الندلاء، "**آرستيد باووبولوس**" .. هو صاحب المال .. فهو المهتم به .. ولكننا لا نعتقد أنه مشروعه هو أيضاً. واقع الأمر أننا لا نعرف من هو صاحب هذه الفكرة.

– والمفتش "**ستيفينز**" يذهب إلى هناك ليستوضح الأمر؟

– رأيت "**ستيفينز**" إذن؟ شاب سعيد الحظ أن يحصل على مهمة كهذه على حساب دافعي الضرائب! لقد كشف عن الكثير من الأمور حتى الآن!

– فيما تشك أنه مستوجب الكشف عنه هناك؟

– المخدرات! تجارة المخدرات على نطاق واسع. وهذه المخدرات لا يدفع ثمنها نقداً ولا أموالاً بل أحجاراً كريمة.

– آها!

– هذا ما يجري. السيدة "**س**" .. أو "**الكونتيسة**" كذا .. تجد صعوبة في الحصول على النقد .. ولا تريد بأي حال من الأحوال أن تسحب من البنك مبالغ كبيرة. لكن لديها مجوهرات .. ميراث عائلي في بعض الأحيان! تبعث بها إلى مكان ما للتلميع أو للتثبيت .. وهناك تخرج الأحجار الكريمة من مواضعها ويوضع معجون بدلاً منها. تباع الأحجار الكريمة التي تم انتزاعها هنا أو في أي مكان بالبلاد. كل هذا يتم بسهولة وأمان .. لا سرقة ولا ضجة للبحث عنها. ونفترض أنه إن عاجلاً أو آجلاً يكتشف أن الأحجار التي بسوار أو بعقد مزيفة. تبدو السيدة "**س**" غاية في البراءة والأسى .. لا يمكنها أن تتصور كيف

ومتى من الممكن أن يكون هذا الاستبدال قد تم .. فلم يخرج العقد من حوزتها قط! تبلغ رجال الشرطة المنهكين مطالبة إياهم بمطاردة خادمات صرفن من العمل لديها أو خدم مشكوك في أمانتهم أو عمال نظافة بؤساء. ولكننا لسنا على هذا القدر من السذاجة الذي يظنه هؤلاء بنا! تلقينا عدداً من هذه القضايا الواحدة تلو الأخرى .. وتبينا أن هناك عاملاً مشتركًا .. ظهرت على جميع النساء علامات تعاطي المخدرات .. العصبية والضيق .. والتململ وزوغان إنسان العين وما إلى ذلك. وكان السؤال: من أين يحصلون على المخدرات ومن الذي يدير هذا النشاط؟

– وتعتقد أن الإجابة هي هذا المكان "**الجحيم**"؟

– نعتقد أنه المركز الرئيسي لهذا النشاط. اكتشفنا المكان الذي يجري فيه العمل بالأحجار الكريمة .. مكان يعرف باسم "**جولكوندا ليمتد**" .. محترم جداً من الظاهر .. مجوهرات مقلّدة على أعلى مستوى. هناك جزئية من اللعبة القذرة تدعى "**فاريسكو**" .. آه .. أرى أنك تعرفه؟

– نعم. رأيته في "**الجحيم**".

– هناك أود أن أراه .. في الجحيم الحقيقي! فهو سيئ تمامًا.. ولكن النساء .. حتى الراقيات منهن.. معجبات به! تربطه علاقة ما بـ"**جولكوندا ليمتد**". وأنا واثق تمامًا بأنه الشخصية التي وراء "**الجحيم**"؛ لأن هذا الملهى مثالي لأغراضه .. يرتاده الجميع سيدات المجتمعات ومحترفو الإجرام .. فهو بذلك مكان اللقاء المثالي.

– هل تظن أن استبدال المخدرات بالمجوهرات يتم هناك؟

– نعم. نعرف جانب الـ"**جولكوندا**" من الموضوع .. ونريد الجانب الآخر .. جانب المخدرات منه. نريد أن نعرف من الذي يقوم بتوريد المادة وما هو مصدرها.

– وحتى الآن ليست لديك أدنى فكرة؟

– أعتقد أنها المرأة الروسية .. لكن لا دليل لدينا. ظننا منذ بضعة أسابيع أننا قد توصلنا إلى نتيجة ما. توجه "**فاريسكو**" إلى مقر الـ"**جولكوندا**" وحصل على عدد من الأحجار هنا وذهب من هناك إلى "**الجحيم**" مباشرة. كان "**ستيفينز**" يراقبه ولكنه لم يره يسلّم البضاعة. وعندما غادر "**فاريسكو**" المكان قبضنا عليه. لم تكن الأحجار معه. داهمنا الملهى الليلي وفتشنا الجميع! وكانت النتيجة .. لا أحجار كريمة ولا مخدرات!

– كانت خدعة؟ أجفل "**جاب**":

– بالتأكيد. كنا سنقع في مأزق ولكننا لحسن الحظ اهتدينا أثناء التفتيش إلى "**بيفيريل**" القاتل الهارب. بمحض حسن الحظ قبضنا عليه وكان المعروف أنه قد هرب إلى "**اسكتلندا**". تعرف أحد ضباطنا إليه من واقع صوره الفوتوغرافية. وبهذا انتهى الموضوع بخير .. وخير الأمور ما حسن ختامه .. حصلنا على الشهرة والشكر من الرؤساء وانتعشت أحوال الملهى .. وكثر رواده عن ذي قبل بنسبة كبيرة جداً. قال "**بوارو**":

– ولكن هذا لم يفد البحث عن المخدرات. ربما يكون هناك مخبأ بالبناء؟

– لابد أن يكون هناك شيء كهذا لكن لم يمكننا الاهتداء إليه. مشطنا المكان بعناية كما كان هناك أيضاً بحث من جهات غير رسمية. وبخاصة في الأماكن المستبعدة. وفي نقاط الدخول والخروج. لكن بلا توفيق. حتى أن رجلنا المكلف بهذا البحث غير الرسمي كاد أن يتعرض لتمزيق جسده بأسنان ذلك الكلب الشرس! فهو يقضي الليل بالبناء.

– آها .. "**سربيروس**"؟

– نعم. اسم سخيف لكلب .. أن يطلق عليه اسم عبوة ملح. تمتم "**بوارو**" متأملاً:

- "**سربيروس**". وهنا اقترح "**جاب**" عليه قائلاً:

- لماذا لا تختبر قدراتك في هذا الموضوع يا "**بوارو**". إنه مشكلة معقدة وجدير بمجهوداتك. أمقت تجارة المخدرات إنها تحطم الناس جسداً وروحاً. فهذا هو الجحيم بعينه! تمتم "**بوارو**" متأملاً:

- سوف يمكنني الكشف عن بعض الأمور .. نعم. هل تعلم ماذا كانت بطولة "**هرقل**" الحادية عشرة؟

- ليست لديّ فكرة.

- القبض على "**سربيروس**". اسم مناسب لهذه المهمة .. ألا ترى ذلك؟

- لا أعلم عما تتحدث يا صديقي. لكن تذكر أن "أكل الكلب بشريًّا" يعد خبراً. واستند "**جاب**" إلى الخلف يضحك بصوت عال.

- 3 -

قال "**بوارو**":

- أود أن أتحدث معك بمنتهى الجدية. كان الوقت لا يزال مبكرًا وكان الملهى شبه خاو. جلست "**الكونتيسة**" و"**بوارو**" إلى مائدة صغيرة قرب الباب. قالت معترضة:

- ولكنني لا أشعر بالجدية. "**أليس**" الصغيرة جادة دائمًا ولا أخفيك سرًّا أنني أرى ذلك مملاً إلى أبعد الحدود. مسكين ابني "**نيكي**". أية متعة ستكون له؟ لا متعة ألبتة. استطرد "**بوارو**" يقول بنبرة جادة:

- أكن لك مشاعر جياشة. ولا أريد أن أراك فيما يعرف بالورطة.

- ولكن هذا غريب الذي تقوله! أنا على قمة العالم والمال يتدفق عليّ بانتظام!

- هل تمتلكين هذا المكان؟ حاولت "**الكونتيسة**" اجتناب نظراته. أجابت:

– بكل تأكيد .

– لكن لك شريك؟ سألته بنبرة حادة :

– ومن الذي أخبرك بذلك؟

– هل شريكك هو "**بول فاريسكو**" ؟

– آه! "**بول فاريسكو**" ! يا لها من فكرة!

– له سجل إجرامي سيئ . هل تعلمين أن مجرمين يترددون على هذا المكان؟ انفجرت "**الكونتيسة**" ضاحكة :

– البرجوازي الصالح يتحدث! أعلم بطبيعة الحال! ألا ترى أن في هذا نصف الانبهار الذي يوفره هذا المكان؟ هؤلاء الشباب القادمون من "**مييفير**" .. يملون رؤية من هم في مثل مستوياتهم في الجانب الغربي . يأتون إلى هنا ويشاهدون مجرمين . اللص والمحتال والمبتز وربما القاتل أيضًا .. الرجل الذي سوف تنشر صورته في الصحف في الأسبوع المقبل! أمر مثير ذلك .. يظنون أنهم يرون الحياة! وهكذا الرجل الميسور الحال الذي يبيع الملابس والجوارب النسائية والملابس الداخلية! يا له من تغيير من حياته المحترمة ومن أصدقائه الوقورين! ثم إن هناك انبهاراً آخر .. هناك إلى إحدى الموائد يجلس مفتش الشرطة في ملابس سهرة يمسِّد شاربه . قال "**بوارو**" بصوت خافت :

– تعلمين ذلك إذن؟ التقت عيناها بعينيه وابتسمت :

– يا صديقي العزيز .. لست بالبساطة التي يبدو أنك تفترضها .

– هل تتعاملين في المخدرات أيضًا في هذا المكان؟ قالت بحدة :

– لا . هذه لا! إنها بغيضة! دقق "**بوارو**" النظر إليها دقيقة أو اثنتين ثم تنهد قائلاً :

– أصدقك . لكن في هذه الحالة من الضرورة بمكان أن تخبريني بمن يمتلك هذا الملهى حقيقة . قالت مسرعة :

– أنا أمتلكه.

– على الورق .. نعم. ولكن هناك شخصًا ما وراءك.

– هل تعلم يا صديقي أنني أرى أنك فضولي جدًّا؟ أليس هو فضوليًّا جدًّا يا "**دودو**"؟

قالت هذه الكلمة الأخيرة بصوت خافت ثم ألقت بعظمة البطة التي في طبقها إلى الكلب الأسود الضخم الذي التقطها بقضمة شرسة بفكيه. سألها "**بوارو**" وقد تحول انتباهه عن الموضوع الأصلي:

– بماذا تنادين هذا الحيوان؟

– إنه صغيري "**دودو**"!

– ولكن اسمًا كهذا لا يليق به!

– إنه حبُّوب! كلب بوليسي! من الممكن أن يفعل أي شيء .. أي شيء. انتظر!

نهضت وتلفتت حولها ثم أمسكت فجأة بطبق به شريحة كبيرة من اللحم كان قد وضع حالاً أمام أحد متناولي العشاء إلى مائدة قريبة. توجهت إلى الكهف الرخامي ووضعت الطبق أمام الكلب بينما كانت تنطق ببضع كلمات باللغة الروسية. نظر "**سربيروس**" أمامه وكأن لا وجود لشريحة اللحم.

– هل رأيت؟ ولا يقتصر الوضع على بضع دقائق! لا. من الممكن أن يظل على هذا الوضع لساعات عند الضرورة!

ثم نطقت بكلمة ما وبسرعة البرق حنى "**سربيروس**" عنقه الطويل واختفت شريحة اللحم كما بفعل سحر. طوقت "**فيرا روساكوف**" الكلب بذراعيها واحتضنته بحرارة واقفة على أطراف أصابعها وهي تفعل ذلك. صاحت:

– هل ترى كم من الممكن ان يكون لطيفًا؟ معي ومع "**أليس**" ومع أصدقائه.. يمكنهم أن يفعلوا ما يحلو لهم! ولكن على الواحد منهم أن يسمعه كلمة السر

وبسرعة! أؤكد لك أن بإمكانه أن يمزق جسد مفتش شرطة .. مثلاً .. إربًا صغيرة! نعم إلى قطع صغيرة جدًّا! ثم انفجرت ضاحكة:

– لا يكون عليّ سوى أن أقول له الكلمة .. قاطعها "**بوارو**" مسرعًا. لم يثق بحس "**الكونتيسة**" الفكاهي. ربما يكون المفتش "**ستيفينز**" في خطر مؤكد.

– البروفسير "**ليسكيرد**" يريد أن يحدثك. كان "**البروفسير**" واقفًا معاتبًا عند مرفقها باحترام. قال شاكيًا:

– أخذت شريحة اللحم التي في طبقي. لماذا أخذتها؟ كانت شهية جدًّا!

– 4 –

قال "**جاب**":

– مساء الخميس يا صديقي. موعد صعود البالون. فريق مكافحة المخدرات بقيادة الضابط "**أندرو**". سيرحب بمشاركتك. لا. شكرًا لك. لا أحب هذه العصائر الغريبة، ينبغي أن أحافظ على سلامة معدتي. هل هذا ويسكي، الذي أراه هناك؟ هذا يناسبني أكثر! أعاد الكأس إلى المائدة واستطرد قائلاً:

– اهتدينا إلى حل للمشكلة على حد تقديري. هناك سبيل آخر إلى خارج الملهى .. وقد اهتدينا إليه!

– أين؟

– خلف الشواية. جزء منها يتحرك حول نفسه.

– لكن من المؤكد أنك سترى ..

– لا يا عزيزي. عندما بدأت المداهمة أطفئت الأضواء .. من المصدر الرئيسي للتيار .. واستغرقنا حوالي دقيقتين لإضاءتها ثانية. لم يخرج أحد من الطريق الأمامي؛ لأنه كان مراقبًا. لكن يتضح لنا الآن أنه من الممكن أن يكون أحدهم

قد خرج من خلال الطريق السري حاملاً معه كل شيء. كنا نفحص المنزل الواقع خلف الملهى .. وبذلك عثرنا على هذه الحيلة.

– وما الذي تقترح .. فعله؟ غمز "**جاب**" بعينه. قال:

– دع الأمور تجري وفقًا للخطة .. يظهر أفراد الشرطة .. تطفأ الأضواء .. ويكون هناك من ينتظر على الجانب الآخر من هذا الباب السري ليرى من الذي يخرج منه. سنقبض عليهم في هذه المرة!

– ولماذا يوم الخميس؟ غمز "**جاب**" بعينه مرة ثانية:

– أحكمنا المراقبة على الـ"**جولكوندا**" الآن. سوف يخرج منه شيء يوم الخميس. زمرّد السيدة "**كارينجتون**". قال "**بوارو**":

– هل تسمح بأن أجري أنا أيضًا بعض الترتيبات الصغيرة؟

جلس "**هركيول بوارو**" إلى مائدته المعتادة القريبة من المدخل مساء الخميس يتأمل الأشياء المحيطة به. وكان "**الجحيم**" كعادته مملوءاً بالرواد!

ظهرت "**الكونتيسة**" بماكياج أكثر بهرجة من المعتاد أيضًا، لو كان هذا ممكنًا. كانت روسية تمامًا في هذه الليلة تصفق بيديها وتصيح ضاحكة. كان "**بول فاريسكو**" قد وصل. كان في بعض الأحيان يرتدي ملابس السهرة الأنيقة وفي أحيان أخرى، كما في هذه الليلة، اختار أن يظهر بملابس الآباش المكونة من معطف مزرر بإحكام ولفاح حول العنق. بدا شريراً وشديد الجاذبية في آن واحد. انفصل عن سيدة قوية البنية في منتصف العمر مرصعة بالجواهر وانحنى فوق "**أليس كانينجهام**" وكانت تجلس إلى مائدة مشغولة بالكتابة في كراسة صغيرة، وطلب منها أن ترقص. أجفلت المرأة الكبيرة الحجم نحو "**أليس**" ونظرت إلى "**فارسكو**" بعينين متيمتين.

لم يكن بعيني الآنسة "**كانينجهام**" أي قدر من الإعجاب، بل اتقدتا باهتمامات علمية بحتة، وسمع "**بوارو**" أجزاء من حوارهما عندما اقتربا منه

وهما يرقصان. كانت قد تخطت مرحلة المربية وبدأت الآن تسعى إلى معلومات عن ناظرة المدرسة الإعدادية التي ألحق "**بول**" بها. عندما توقفت الموسيقى جلست الفتاة بجوار "**بوارو**" وقد بدت سعيدة منبهرة. قالت:

– إثارة أكبر. سيكون "**فارسكو**" أحد أهم الحالات في كتابي. الرمزية لا تخطئ. المشكلة بشأن الثياب على سبيل المثال .. صورة مكتوب عليها "**قميص وبري**" مع جميع الارتباطات ذات الصلة .. ويتضح الأمر كله. من المؤكد أنه نموذج إجرامي ولكن من الممكن علاجه .. فقال "**بوارو**":

– طالما كان إصلاح الخليع أحد أوهام المرأة المحببة إلى قلبها! رمقته "**أليس كانينجهام**" بنظرات فاترة.

– لا شيء شخصي في هذا يا سيد "**بوارو**". فقال "**بوارو**":

– ولم يكن قط. إنه دائماً إيثار حيادي بحت .. ولكن موضوعه عادة ما يكون فرداً جذاباً من الجنس الآخر. هل لديك اهتمام .. مثلا .. بأين ذهبت إلى المدرسة أو بماذا كان موقف ناظرة المدرسة تجاهي؟ فقالت الآنسة "**كانينجهام**":

– لست نموذجًا إجراميًّا.

– هل تعرفين النموذج الإجرامي عندما ترينه؟

– نعم. بكل تأكيد. انضم البروفسير "**ليسكيرد**" إليهما حيث جلس بجوار "**بوارو**".

– هل تتحدثان عن المجرمين؟ ينبغي أن تقرأ مجموعة القوانين الجنائية التي وضعها "**حمورابي**" في عام 1800 ق.م يا سيد "**بوارو**". مثيرة للاهتمام جدًّا. منها: من يقبض عليه وهو يسرق أثناء اشتعال حريق يلقى به في ذلك الحريق. ثم وجه نظره في سرور نحو الشواية الكهربائية. استطرد قائلاً:

– وهناك قوانين السوميريين الأكثر قدماً. إذا كرهت زوجة زوجها وقالت له: أنت لست زوجي، يلقى بها في النهر. وهذا أقل تكلفة من محاكم الطلاق.

لكن إذا قال زوج هذا لزوجته يلزم فقط بأن يعطيها قدراً معيناً من الفضة. ولا أحد يطرحه في النهر. قالت "**أليس كانينجهام**" :

– ذات التقليد القديم. قانون للرجل وآخر للمرأة. فقال "**البروفسير**" متأملاً:

– ذلك لأن لدى النساء تقديراً أكبر لقيمة المال. ثم أضاف قوله:

– أحب هذا المكان. آتي إلى هنا في غالبية الأمسيات. بلا مقابل مادي. رتبت "**الكونتيسة**" لذلك .. جميل جداً منها أن تفعل ذلك .. تقديراً لنصيحتي لها بشأن الديكورات الخاصة بالملهى كما تقول. ولا يعني هذا أن للديكورات أية علاقة بي في الواقع .. فلم يكن لديّ أدنى فكرة عما كانت تسألني عنه .. وكان من الطبيعي أن تقوم هي والفنان الذي صمم هذه الديكورات بتنفيذ كل شيء على الوجه الخطإ. أملي ألا يعلم أحد أن لي أدنى صلة بهذه الأشياء البشعة. لن يمكنني أن أتجاوز مثل هذه المحنة أبداً. ولكنها امرأة رائعة .. أشبه ببابلية مترفة. كانت البابليات نساء أعمال ناجحات كما نعلم ..

غرقت كلمات "**البروفسير**" في ترديد ضوضائي مفاجئ لكلمة "الشرطة". نهضت النساء على أقدامهن وصار هناك ضجيج من الأصوات. أطفئت الأضواء ومعها الشواية الكهربائية وفي خضم هذه الضوضاء كان "**البروفسير**" يواصل بهدوء تام ترديد عدد من نصوص مواد قوانين "**حمورابي**".

عندما أضيئت الأنوار ثانية كان "**هركيول بوارو**" في منتصف المسافة صاعداً الدرجات الضحلة الفسيحة. حيّاه ضباط الشرطة المتواجدين عند الباب، وخرج هو إلى الشارع وتمشى نحو الزاوية. كان هناك على الجانب الآخر من الزاوية، ملتصقاً بالجدار رجل صغير الحجم كريه الرائحة ذو أنف أحمر. تحدث بهمس خافت شغوف:

– أنا هنا يا رئيسي. هل حان الوقت لأن أقوم بمهمتي؟

– نعم. هيا.

– هناك عدد كبير من رجال الشرطة منتشرون بالموقع!

– لا بأس في ذلك. لديهم تعليمات بشأنك.

– كل ما أرجوه ألا يتدخلوا. هذا كل ما في الأمر.

– ولن يتدخلوا. هل أنت واثق بأنه يمكنك إتمام ما جئت من أجله؟ الحيوان المعني كبير الحجم وشرس في آن واحد. فقال الرجل بثقة بالغة:

– لن يكون شرساً معي. ليس ومعي ما معي! أي كلب لابد أن يتبعني حتى إلى الجحيم من أجله! فقال "**بوارو**" هامساً:

– في حالتنا هذه يجب أن يتبعك إلى خارج "**الجحيم**"!

– 5 –

دق ناقوس الهاتف في الساعات الأولى من الصباح. رفع "**بوارو**" السماعة. جاء صوت "**جاب**" يقول:

– طلبت مني أن أتصل بك.

– نعم. هذا صحيح. خيراً؟

– لا مخدرات.. استولينا على الزمرد.

– أين؟

– في جيب البروفسير "**ليسكيرد**".

– البروفسير "**ليسكيرد**"؟

– مفاجأة لك أنت أيضاً؟ بصراحة لا أعرف ماذا أظن. بدا دهشًا مثل طفل رضيع. ظل ينظر إلى الأحجار. قال إنه ليس لديه أدنى فكرة عن كيفية وضعها في جيبه، وأعتقد أنه صادق فيما قال! من الممكن أن يكون "**فاريسكو**" قد دسها في جيبه بسهولة تامة في الظلام. لا أعتقد أن رجلاً مثل "**ليسكيرد**" من الممكن أن يكون متورطًا في هذه النوعية من الأعمال؛ فهو منتم إلى جميع

المجتمعات الراقية المعروفة. وعلى صلة أيضًا بالمتحف البريطاني! والشيء الوحيد الذي ينفق المال عليه هو الكتب والكتب المستعملة القديمة. لا. لا يصلح جزءًا من هذه اللعبة. بدأت أشعر بأننا مخطئون بشأن هذا الموضوع برمته .. فلم تكن هناك قط مخدرات بذلك الملهى.

– بلى .. كانت هناك يا صديقي. وكانت هناك في هذه الليلة. أخبرني .. هل لم يخرج أحد من الطريق السري؟

– نعم. خرج الأمير "**هنري**" أمير "**سكاندنبرج**" ومرافقوه. كان قد وصل إلى "**إنجلترا**" أمس فقط. وكذلك الوزير "**فيتاميان إيفانز**" (وزير العمل .. ينبغي أن تتوخى الحذر لا أحد يهتم بسياسي ينفق ماله على حياة الصخب لأن دافعي الضرائب يعتقدون أنه ماله الخاص .. لكن عندما يفعل وزير العمل ذلك يشعر الجمهور بأنها أموالهم تلك التي ينفقها! وهي كذلك فعليًّا). وكانت السيدة "**بياتريس فاينر**" آخر من خرج من هذا الطريق. سوف تتزوج يوم بعد غد دوق "**ليومينستر**" ذلك الشاب المتزمت. لا أعتقد أن أحدًا من هؤلاء متورط في هذه العملية.

– اعتقادك صائب. ومع كل ذلك كانت المخدرات في الملهى وحملها شخص ما إلى خارجه.

– من الذي فعل ذلك؟ فقال "**بوارو**" بصوت خافت:

– أنا يا صديقي.

ثم أعاد السماعة إلى موضعها واضعًا نهاية لحديث "**جاب**" عندما سمع صوت ناقوس الباب يدوّي. توجه إلى الباب الخارجي وفتحه. فدخلت الكونتيسة "**روساكوف**". قالت بانفعال:

– لو لم نكن كبار السن بهذا القدر لتعرضت سمعتنا للشبهة! أتيت كما طلبت مني برسالتك. أعتقد أن شرطيًّا يتبعني لكن من الممكن أن يظل بالشارع. والآن يا صديقي .. ما الأمر؟ أراحها "**بوارو**" بشهامة من معطفها

المصنوع من فراء الثعالب ثم سألها:

– لماذا وضعت أحجار الزمرد تلك في جيب البروفسير "**ليسكيرد**"؟ ليس ظريفاً هذا الذي فعلته. اتسعت عينا "**الكونتيسة**" دهشة.

– من الطبيعي أن أعني وضعها بداخل جيبك أنت!

– بداخل جيبي أنا؟

– بالتأكيد. أسرعت إلى المائدة التي اعتدت الجلوس إليها.. وكانت الأضواء مطفأة. وأعتقد أنني وضعتها في جيب "**البروفسير**" بطريق الخطإ.

– ولماذا رغبت في أن تضعي أحجار الزمرد المسروقة في جيبي؟

– بدا لي ذلك – كنت مضطرة إلى أن أفكر بسرعة، أنت مقدر ذلك بلا شك– أفضل ما يمكنني فعله.

– حقيقة يا "**فيرا**" أنت امرأة نادرة.. سحرك لا يثمَّن!

– لكن يا صديقي العزيز.. فكّر في موقفي. الشرطة تداهم المكان وتطفأ الأنوار وتمتد يد وتأخذ حقيبتي من فوق المائدة. أستعيدها بسرعة ولكنني أشعر من خلال نسيجها القطيفة بوجود شيء صلب بداخلها. أضع يدي بالداخل فأجد ما أعرف باللمس أنه أحجار كريمة وأدرك فوراً من الذي وضعها هناك.

– تعرفين؟

– أعرف بالتأكيد! إنه ذلك القذر! الحيوان المخادع الخائن "**بول فاريسكو**".

– شريكك في "**الجحيم**"؟

– نعم. نعم إنه هو الذي يملك الملهى. الذي موّل المشروع. لم أشِ به حتى الآن.. يمكنني أن أحفظ السر! لكن الآن وقد حاول الإيقاع بي وتوريطي مع الشرطة.. الآن سوف أعترف عليه.. نعم.. هذا ما سوف أفعله! فقال "**بوارو**":

– اهدئي وتعالي معي إلى الحجرة المجاورة.

فتح الباب. وكانت الحجرة صغيرة فبدت مدى لحظة مملوءة بالكامل بكلب.

كان "**سربيروس**" قد بدا بحجم مبالغ فيه حتى في ملهى "**الجحيم**" الفسيح. أما في حجرة المائدة بشقة "**بوارو**" بدا أن لا شيء آخر بالحجرة سوى "**سربيروس**". إلا أنه كان بها أيضًا ذلك الرجل الصغير الحجم الكريه الرائحة. قال الرجل بصوت واهن:

– لقد أتينا إلى هنا يا سيدي وفقًا للخطة. صاحت "**الكونتيسة**":

– "**دودو**" يا ملاكي "**دودو**"!

ضرب "**سربيروس**" الأرض بذيله .. ولكنه لم يتحرك. صاح "**بوارو**" فوق الضوضاء الراعدة التي صدرت عن ذيل "**سربيروس**":

– اسمحي لي بأن أقدم لك السيد "**وليم هيجز**" أستاذ في مهنته. في أثناء الاضطرابات التي سادت الملهى في هذه الليلة حث السيد "**هيجز**" "**سربيروس**" على أن يتبعه إلى خارج "**الجحيم**".

– أنت حثثته؟ لكن كيف؟

وظلت "**الكونتيسة**" تنظر إلى الشكل البشري الفئراني غير مصدقة. غض السيد "**هيجز**" الطرف استحياء.

– لا أحب أن أقول هذا في وجود سيدة. ولكن هناك أشياء لا تستطيع الكلاب مقاومتها. يتبعني أي كلب إلى أي مكان إذا أردته أن يفعل ذلك. من المؤكد أنك تفهمين أن لا تأثير لذلك في إناث الكلاب. فالأمر يختلف بالنسبة إليها. تحولت "**الكونتيسة**" إلى "**بوارو**":

– لكن لماذا؟ لماذا؟ فقال "**بوارو**" بنبرة متأنية:

– الكلب المدرب لهذا الغرض يمكنه أن يحتفظ بداخل فمه بأي شيء حتى يؤمر بأن يخرجه منه. يحتفظ به لساعات عند الضرورة. هلا طلبت من كلبك الآن أن يفرج عما بفمه؟

دققت "**فيرا روساكوف**" النظر إلى محدثها ثم استدارت ونطقت بكلمتين مقتضبتين. فتح فكّا "**سربيروس**" العملاقان ثم حدث شيء مرعب بحق ..

سقط لسان "**سربيروس**" خارج فمه... تقدم "**بوارو**" نحو الأمام والتقط لفافة صغيرة بداخل كيس من المطاط الإسفنجي. فض الغلاف وكانت بداخله لفافة من مسحوق أبيض. سألت "**الكونتيسة**" بنبرة حادة:

– ما هذا؟ وأجاب "**بوارو**" بصوت خافت:

– كوكايين. تبدو هذه الكمية ضئيلة .. ولكنها كافية لأن تباع بآلاف الجنيهات لمن يطلبون هذا المخدر... وكافية لأن تجلب الدمار والبؤس لبضع مئات من الأفراد... كبحت أنفاسها لحظة ثم صاحت:

– وتظن أنني أنا .. لكن هذا غير صحيح! أقسم لك على ذلك! في الماضي كنت أتسلى بالمجوهرات وبالتحف النفيسة وبالأشياء الجميلة الأخرى .. كانت تساعدني على مواصلة الحياة .. كما تعلم. وما كنت لأشعر به هو .. ولم لا؟ لماذا يمتلك شخص معين شيئًا أكثر من فرد آخر؟ فقال السيد "**هيجز**":

– لديّ هذا الشعور نفسه بالنسبة إلى الكلاب. فقال "**بوارو**" مخاطبًا "**الكونتيسة**" بنبرة حزينة:

– ليس لديك حس الصح أو الخطإ. ولكنها استطردت قائلة:

– لكن المخدرات .. لا! لأنها تسبب التعاسة والألم والتفكك! لم تكن لديّ أية فكرة .. ولا أدنى فكرة عن أن "**جهنمي**" الصغير الظريف البريء الساحر كان يستخدم لذلك الغرض! قال السيد "**هيجز**":

– أتفق معك فيما يتعلق بالمخدرات. تخدير كلاب الصيد من الأمور المقيتة! لا أوافق على شيء كهذا أبداً ولم يسبق لي أن وافقت عليه! قالت "**الكونتيسة**" متوسلة:

– لكن قل إنك تصدقني يا صديقي.

– أصدقك بكل تأكيد! ألم أبذل وقتًا وجهداً للقبض على المنظم الحقيقي لتجارة المخدرات. ألم أقم بعمل "**هرقل**" الحادي عشر وأحضر "**سربيروس**" من الجحيم حتى أثبت وجهة نظري؟ ذلك لأنني، وأؤكد لك، أنني لا أحب أن أرى

أصدقائي وراء القضبان .. نعم وراء القضبان .. لأنك أنت التي قصد بك أن تتلقى العقوبة إذا لم تفلح الحيلة! وبحقيبة يدك كانوا سيعثرون على أحجار الزمرد. ولو كان هناك من يتوفر لديه الذكاء الكافي (مثلي) بحيث يشك في مخبإ بداخل فم كلب شرس .. حسنا، هذا الكلب هو كلبك أنت .. أليس كذلك؟ حتى لو كان قد قبل "**أليس**" الصغيرة إلى حد إطاعة أوامرها هي أيضاً! نعم. عليك أن تفتحي عينيك! منذ البداية لم تعجبني تلك الفتاة برطانتها العلمية ومعطفها وجونلتها ذات الجيبين الكبيرين. نعم. الجيبان. من غير الطبيعي إطلاقا أن تزدري أية امرأة مظهرها! وما الذي قالته لي .. إن الأهمية للأساسيات! أها! ما هي أساسيات الجيوب. الجيوب التي يمكنها حمل المخدرات بداخلها ثم الخروج بالأحجار الكريمة .. تبادل سهل الإتمام أثناء رقصها مع شريكها الذي تدعي أنها تعتبره حالة نفسية. آه .. لكن يا له من ستار! لا أحد يشك في عالمة النفس الجادة ذات الدرجة العلمية والنظارة الطبية. يمكنها تهريب المخدرات إلى داخل الملهى وحث مرضاها على اعتياد تعاطيها وتوفير المال لإقامة ملهى ليلي وترتب لأن تديره شخصية ذات .. لنقل نقطة ضعف في ماضيها! ولكنها تحتقر "**هركيول بوارو**" . تعتقد أنه يمكنها خداعه بحديثها عن المربيات والصدريات! حسنا. إنني مستعد لها. تطفأ الأضواء. أنهض من مائدتي مسرعًا وأذهب وأقف بجوار "**سربيروس**" . أسمعها تقدم في الظلام. وتفتح فم الكلب وتزج باللفافة بداخله. وأنا .. دون أن تشعر بي .. وبرشاقة تامة وخفة يد أقص قطعة من نسيج كم معطفها باستخدام مقص صغير معي. وبحركة مسرحية أخرج من جيبه قصاصة من نسيج.

– ترون .. ذات النسيج التويد ذو الترابيع .. وسوف أعطيها إلى "**جاب**" ليعيد وضعها في المكان الذي أخذت منه.. ويبرر إلقاء القبض عليها.. ويضيف إلى أمجاد جهاز الشرطة. دققت "**الكونتيسة**" النظر إليه ذاهلة ثم أطلقت فجأة عويلاً عاليًا.

– ولكن ابني "**نيكي**" .. ابني "**نيكي**" .. سيكون وقع هذا قاسيًا عليه.
توقفت قليلاً ثم سألت:

– أم أنك ترى غير ذلك؟ فقال "**هركيول بوارو**":

– هناك عدد كبير من فتيات أخريات في "**أمريكا**".

– ولولاك لكانت والدته في السجن .. في السجن .. حيث يحلق شعرها .. وتجلس في زنزانة .. تشتم الروائح الكريهة! آه .. لكنك رائع .. رائع!

تقدمت نحو الأمام حيث أخذت "**بوارو**" في ذراعيها وعانقته بحرارة سلافونية، والسيد "**هيجز**" يراقب المشهد باستحسان. ضرب "**سربيروس**" الأرض بذيله. وفي وسط هذا المشهد من المرح. سمع صوت ناقوس الباب. قال "**بوارو**" منفعلاً وهو يخلص نفسه من ذراعي "**الكونتيسة**":

– "**جاب**"! وهنا قالت "**الكونتيسة**":

– ربما من الأفضل أن أذهب إلى الحجرة الأخرى. مرّت من الباب الفاصل بين الحجرتين بينما نظر "**بوارو**" نحو الباب إلى الرواق. قال السيد "**هيجز**" بانفعال:

– يا سيدي .. من الأفضل أن تنظر إلى وجهك في المرآة. فعل "**بوارو**" ذلك وتراجع. لطخ وجهه أحمر الشفاه والماسكرا في خليط غريب. وقال "**هيجز**":

– لو كان القادم هو "**جاب**" من مركز الشرطة فمن المؤكد أن يسيء الظن. ثم أضاف والناقوس يدق ثانية بينما كان "**بوارو**" يحاول تنظيف أطراف شاربه من أحمر الشفاه العالق بها:

– ماذا تريدني أن أفعل؟ وكيف أتصرف في هذا الكلب؟ فقال "**بوارو**":

– على حد ذاكرتي عاد "**سربيروس**" إلى الجحيم. فقال "**هيجز**":

– لك ما تريد يا سيدي. واقع الأمر أنني معجب به .. ومع ذلك ليس هو من النوعية التي أحب أن أسرقها .. وأحتفظ بها . فهو ملحوظ جداً .. أعتقد أنك تفهم ما أعنيه. خاصة إذا أخذت تكلفة تغذيته في الاعتبار .. أتوقع أنه يأكل مثل أسد شاب. وهنا قال "**بوارو**":

– من الأسد اللعنة إلى القبض على "**سربيروس**" .. قد أُكمِل.

– 6 –

بعد ذلك بأسبوع أحضرت الآنسة "**ليمون**" إلى صاحب عملها فاتورة:

– معذرة. هل من المناسب أن أدفع قيمة هذه؟ محلات زهور "**ليونورا**" .. ورد أحمر. أحد عشر جنيها وثمانية شلنات وستة بنسات. أرسل إلى الكونتيسة "**فيرا روساكوف**" ملهى "**الجحيم**" الليلي 13 شارع "**إند**".

بلون الورد الأحمر كانت وجنتا "**هركيول بوارو**". كست وجهه حمرة الخجل حتى مقلتي عينيه.

– مناسب تمامًا يا آنسة "**ليمون**". مجاملة بسيطة بهذه المناسبة. لقد أعلن ابن "**الكونتيسة**" خطبته في "**أمريكا**" مؤخرًا .. لابنة صاحب المصانع التي يعمل بها .. وهو أحد أقطاب صناعة الصلب هنا. والورد الأحمر .. كما يهيأ لي أنني ما زلت أتذكر .. هي الزهور المفضلة لها. فقالت الآنسة "**ليمون**":

– تمامًا. وهي غالية الثمن جدًا في هذا الوقت من العام. انتصب "**هركيول بوارو**" في جلسته قائلاً:

– هناك لحظات لا يقتصد المرء فيها.

غادر الحجرة يدندن بلحن مرح، بخطى رشيقة مرحة. تابعته الآنسة "**ليمون**" بنظراتها. نسيت نظام حفظ الملفات الذي طالما شغلت به. أثيرت بداخلها جميع الغرائز الأنثوية. قالت متمتمة:

– يا إلهي.. إنني أتساءل.. حقيقة .. وفي هذه السن... هذا مستحيل...

تمت بعون الله